التجليات السيكولوجية للراوي في رواية "لا أنام" للكاتب "إحسان عبد القدوس"

The psychological manifestations of the narrator in the novel "La Anam" By the author "Ehsan Abdel Quddous."

إعداد

سارة محمود حسن علي

Sara Mahmoud Hassan Aly

Doi: 10.21608/mdad.2023.322130

استلام البحث ٢٠٢٣/٨/٢٧

قبول النشر ٢٠٢٣/٩/١٧

علي، سارة محمود حسن (٢٠٢٣). التجليات السيكولوجية للراوي في رواية "لا أنام" للكاتب "إحسان عبد القدوس". ***المجلة العربية مـــداد***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٧(٢٣)، ٩٣-١٣٠.

http://mdad.journals.ekb.eg

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

التجليات السيكولوجية للراوي في رواية "لا أنام" للكاتب "إحسان عبد القدوس"

المستخلص:

هدف هذه الدراسة هو استجلاء بعض الظواهر النفسية التي يظهرها الراوي في رواية لا أنام للكاتب إحسان عبد القدوس. ويركز البحث على تدقيق التعريفات النفسية لمثل هذه الظواهر، بما في ذلك عقدة إليكترا والتشتيت والسلوك السادي وعقاب النفس.. إلى غيرها من الظواهر. فمن المستحيل أن نجد عملا سرديا بدون الراوي سواء أكان متكلمًا أو مخاطبًا أو غائبًا، فالراوي هو الذي يقوم بسرد الأحداث، وقد يجعله الكاتب في صورة شاهد مشارك أو غير مشارك في الأحداث التي تتم روايتها من خلاله.

ولأن ما يعنينا هو تتبع البعد السيكولوجي، فإن تصنيف (جان بويون) لطبيعة الراوي، يضحى خير ما يتكئ عليه البحث، نظرًا لاعتماده على البعد المعرفي للراوي في توخيه الكشف عن دواخل الشخصيات، وعن دخيلة نفسه كما يظهر في رواية لا أنام لإحسان عبد القدوس، التي بدا فيها الراوي متحدثا بلسان الشخصية المحورية أو البطلة. ويعتبر تقسيم بويون الأشمل من ناحية الحدود المعرفية للشخصية، ويتسم بكونه أكثر التقسيمات التي توضح بصورة بيّنة علاقة الراوي بالشخصيات الأخرى في الرواية.

الكلمات المفتاحية: الراوي- إحسان عبد القدوس-عقاب النفس- عقدة إليكترا- السادية السلوكية- المقاومة النفسية - الشعور اللاوعي بالذنب.

Abstract:

The aim of this study is to clarify some of the psychological phenomena shown by the narrator in the novel I Do Not Sleep by the writer Ihsan Abdel Quddus. The research focuses on examining the psychological definitions of such phenomena, including the Electra complex,distraction, sadistic behavior, and self-punishment, among other phenomena. It is impossible to find a narrative work without a narrator, whether he is the speaker, addressed, or absent. The narrator is the one who narrates the events, and the writer may make him in the form of a participating or non-participating witness in the events that are narrated through him.

Because what concerns us is tracing the psychological dimension,Jean Bouillon's classification of the nature of the narrator becomes the best thing on which the research can rely, given its reliance on the cognitive dimension of the narrator in his desire to reveal the insides of the characters and his inner self, as

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

appears in the novel (I Don't Sleep) by Ihsan Abdul Quddus. In which the narrator seemed to speak for the central character or heroine. Boyon's division is considered the most comprehensive in terms of the character's cognitive boundaries, and is characterized by being the division that most clearly explains the narrator's relationship with the other characters in the novel.

Keywords: narrator - Ihsan Abdel Quddus - self-punishment - Electra complex - behavioral sadism - psychological resistance - subconscious feeling of guilt.

مقدمة:

يُعد عنصر الراوي من أهم العناصر الفنية في القصة والرواية؛ وأكثرها خصوصية وتشعبًا؛ لأنه يرتبط بكل فعاليات الخطاب الداخلية، إذ يقف المؤلف والمتلقي بوصفهما قطبين رئيسين في العملية الإبداعية، يتوسطهما الراوي وبقية العناصر الفنية.

وقد يكون الراوي مختفيا في النص القصصي، وقد يكون شخصية من شخصيات الرواية"[١]، فإذا ما كان من شخصيات عمله الأدبي فإنه يستعمل ضمير المتكلم في القص. أما إذا وجد خارج العمل الأدبي فإنه يستخدم ضمير الغائب[٢]. فالراوي: هو المرسل، الذي يقوم بنقل الرواية إلى المروي لهم. وهو آلية يستخدمها الروائي(المؤلف) ليكشف بها عن عالم روايته، وحسب هذا المفهوم، فالراوي يختلف عن الروائي، الذي هو شخصية واقعية، لأن الروائي (المؤلف)، هو خالق العالم التخيلي، الذي تتكون منه روايته، فالمؤلف هو الذي اختار تقنية الراوي كما اختار الأحداث والشخصيات الروائية والبدايات والنهايات. والروائي لا يظهر ظهورًا مباشر في بنية الرواية، فهو لا يجب أن يظهر وإنما يستتر خلف قناع الراوي، يعبر من خلاله عن مواقفه ورؤيته السردية المختلفة التي يريد أن يبرزها للقاري[٣]. فمن المستحيل أن نجد أي عمل سردي بدون الراوي وإن كان نوع الراوي متكلمًا أو مخاطبًا أو غائبًا، فالراوي هو الذي يقوم بسرد الأحداث، وقد يجعله الكاتب في صورة شاهد مشارك أو غير مشارك في الأحداث التي

---

[1] د/ سيزا أحمد قاسم، بناء الرواية "دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ" الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤، ص١٣١.

[2] محمد أيوب، الشخصية في الرواية الفلسطينية، ص٣٠.

[3] د/ أمنة يوسف، تقنيات السرد القصصي، ص٤١،٤٠.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

يرويها، فالذي يظهر في النص السردي هو الراوي ويقوم بتشكيل عناصر السرد بأكملها، إذن فالراوي جزء لا يتجزأ من النص الأدبي فهو السارد الذي يسرد الحكاية وبدونه لا يكتمل النص الأدبي لنا، فهو من أهم مكونات النص السردي الأدبي، فليس هناك حكي وقص شفهي أو كتابي دون راوٍ.

والتعريف الشامل الذي يلخص مفهوم الراوي وعمله هو الذي ينظر إليه على أنه "الصوت غير المسموع الذي يقوم بتوصيل مادة الرواية إلى المتلقي، وربما يكون الشخص الموصوف مظهرًا مخبرًا داخل النص، ممن يتولى مهمة الإدلاء بكامل تفاصيل عالم الرواية، فهو يملك قدرة أن يقدم الشخصيات وسماتها وملامحها الفكرية وعلاقاتها وتناقضاتها، كما أن من مهامه تقديم الوقائع المتعاقبة أو المتداخلة أو المتوازنة، التي تؤلف كيان الحدث في الرواية، ويقوم فضلا عن هذا بتقديم الخلفية الزمانية والمكانية للشخصيات والأحداث ويسبك هذه العناصر ويقدمها للقارئ"[٤].

ولأن ما يعنينا هو تتبع البعد السيكولوجي، فإن تصنيف (جان بويون) لطبيعة الراوي، يضحى خير ما يتكئ عليه البحث، نظرًا لاعتماده على البعد المعرفي للراوي في توخيه الكشف عن دواخل الشخصيات، وعن دخيلة نفسه كما يظهر في رواية لا أنام لإحسان عبد القدوس، التي بدا فيها الراوي متحدثا بلسان الشخصية المحورية أو البطلة. ويعتبر تقسيم بويون الأشمل من ناحية الحدود المعرفية للشخصية، ويتسم بكونه أكثر التقسيمات التي توضح بصورة بيّنة علاقة الراوي بالشخصيات الأخرى في الرواية.

لم يُعنى"جان بويون" في العمل الروائي بالتقنية بقدر توجهه صوب السيكولوجيا، وإنطلاقا من هذا التوجه منح الروائي دورًا إضافيًّا، فإذا كان العالم النفساني يعرفنا بأنفسنا، فإن الروائي يعرفنا بالآخرين. ويبدو هذا الدور جليّا عندما يكون الراوي هو البطل، أي يحكي عن ذاته، ويحلل داخليته وخلجات نفسه، فمن خلال هذه الصلة تبدو العلاقة الوثيقة بين الرواية وعلم النفس[٥].

فإذا نظرنا لتقسيم بويون من حيث (المعرفة)، معرفة الشخصيات ودواخلهم النفسية سنجد أنه استخدم في رواية (لا أنام)، **الراوي مساوٍ في معرفته للشخصية**، حيث يكون شخصية من شخصيات العمل يتحدث عن نفسه وعن الآخرين نحن نعرف الشخصيات والأحداث من خلال شخصية الراوي فما يريد قوله بقوله وما يريد أن يخفيه

---

[4] عبد الله إبراهيم، المتخيل السردي، مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٠، ص١١٥.

[5] سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، ص ٢٨٨

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

عنك أي إنك تسمع بأذنه وتنظر بعينه ففي هذه الرؤية تتكافأ معرفة الراوي مع معرفة الشخصية القصصية أي ما يعلمه الراوي تعلمه الشخصية، وما لا يعلمه الراوي لا تعلمه الشخصية أيضًا، فالنسبة متوازية بين الطرفين لأنهما على قدرٍ مساوٍ من المعرفة بمجريات الأحداث[٦].

ملخص رواية لا أنام:

هي من الروايات التي تحولت إلى فيلم سينمائي وأبدعت هذه الرواية في تحليل الصراع الأبدي بين الخير والشر المتمثل في شخصية "نادية"، والذي تجلى بوضوح من خلال شخصية البطلة حيث تعيش حياة مليئة بالصراعات الداخلية والمعاناة، بدءًا من علاقتها المعقدة مع والديها. فبينما كانت تعيش مع والدها بعد انفصال والديها، تجد نفسها في بداية محاطة بالرعاية والحب، لكن هذا الاهتمام يتلاشى تدريجيًا، ثم فجأة تنتزع منها زوجة أبيها العرش وتجردها من ذاتها التي بنتها عبر تلك السنين في بيتها، مما يؤدي إلى تصاعد صراعها الداخلي، وتظهر شخصية "نادية" عدائية في الخفاء مع من حولها حيث تتلذذ بآلام الآخرين وأذيتهم، وتعاني من صراعات نفسية نتيجة الشعور بالذنب المتمثل في "عقاب النفس"، وبعد كثرة تأنيب الضمير أصيبت بحالة تبلد المشاعر حتى أصبحت لا تشعر بالذنب مما جعلها في حالة غير قادرة على النوم، وهذا يتجلى في عنوان الرواية نفسه، "لا أنام". تبدأ الرواية كرسالة من "نادية" إلى الكاتب "إحسان عبد القدوس" حيث تشاركه حياتها وصراعاتها الداخلية، وتصوّر لنا ما عاشته من أحزان ومأساة وصراعات نفسية وهي تتخيل أباها مع زوجته الجديدة مما يستيقظ في نادية وعيها الأنثوي، وتحاول أن تكبت تلك الرغبة، حتى لجأت إلى مصطفى ويُختزل وعي نادية في مصطفى، وتجد في مصطفى منفذًا لأوجاعها ورغباتها المكبوتة، تنغرس في علاقتها به، لكن بمرور الوقت تتساءل عما إذا كان حبه حقيقيًا، ليبدأ وعيها في التمحور مرة أخرى، ونتيجة الصراع الداخلي لديها وشعورها بالنار طالت هذه النار أقرب شخص لها وهو أبيها الذي دفعته بأساليبها الثعبانية للتفريق بينه وبين زوجته وأججت النار بين عمها وأبيها بنار الشك داخل أبيها فهي دائمًا ما تصنع الشك بداخل من حولها، لم تشتبك "نادية" مع المجتمع بما يكفي حتى يمكن لها أن تكوّن وعيًا مكتملاً بل بقيت دومًا داخل الأسرة حتى في اختلاطها بالناس عبر الحفلات، كانت تذهب بوصفها ابنة أحمد لطفي بيه لا بوصفها فرد له كيان مستقل.

الراوي في الرواية:

والراوي المستخدم في هذه الرواية هو راو مشارك، ظاهر في العمل الأدبي من داخل الرواية ووفق تقسيم بويون تكون حدود معرفته بالأحداث مساوية لمعرفة

---

[6] المرجع السابق، ص٥٨

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الشخصية الرئيسة بها، وهو المتكلم بصيغة الضمير (أنا)، أو ضمير السرد الذاتي، ويظهر هذا النوع عندما يكون السرد ذا طابع سيري والراوي داخليا ويتحدث عن نفسه، وهو الذي تتساوى فيه معرفة الراوي بمعرفة الشخصية ومستخدما في روايته آلية التداعي الحر ولكنه بشكل كتابي أي (بطريقة غير مباشرة)، فالراوي من حيث الجندر: إمرآة تعاني مصطدمة من عقبات الحياة التي تواجهها، لم تجد من يأخذ بيديها، وناشئة في تفكك أسري لاسيما أنه أثر على التشكيل النفسي لها.

وفي هذه الرواية سنجد منذ الوهلة الأولى أنها سيرة ذاتية قائمة على **الصراع النفسي** للبطلة نادية حيث إن الكاتب اختار أن يكون الراوي أنثى وهي بطلة الرواية نادية تروى الأحداث بضمير المتكلم لتكشف عما في طيات نفسها كأنها تطلع إلى مذكراتها وتتحدث للكاتب نفسه بضمير المخاطب الذي بدوره أخرج لنا هذه الرواية فيما بعد، وضمير المتكلم كان أكثر ملائمة للراوية لأنها الشخصية المحورية التي تتحدث عن نفسها شاعرة بتأنيب الضمير مما فعلته في حياتها. أخذت هذه الرواية شكل السيرة الذاتية تكشف عن هوية التأزم النفسي والشعور بالضياع والحزن المرير وغيرها من الاحاسيس النفسية المضطربة والهواجس الذهنية القلقة التي تشهدها الشخصية المحورية والراوية في ذات الوقت، ونجد الراوي المتمثل في الأنا المشارك المتكلم وتكون الشخصية المحورية، التي تتساوى حدود معرفتها بمعرفة الشخصية المحورية لأنها ذاتها فيعرف ما يدور في دواخلها النفسية وتعبر عنه بمذكرة كتابية، تكتب للكاتب لتنسى للتخلص من هذا العذاب.

ونجد أن السرد بضمير المتكلم المفرد " أنا، أنِّي " حضر بشكل مهيمن في كل صفحات الرواية فالكاتب اختار هذا السرد عن طريق الأنا، وهذا ما جعل في الرواية جمالية والتحامًا بين النص السردي والقارئ، فضمير المتكلم "أنا" يلغي المؤلف ويجعل منه شخصية تقوم برواية الأحداث والمشاركة في صناعتها أيضًا، وهو الضمير الذي تروي من خلاله الشخصية الروائية الواقعة في الزمن الحاضر، الذي هو زمن السرد، عن أحداث وشخصيات، تقع في الزمن الماضي، الذي هو زمن الحكاية، مما يوهم القارئ أنها نوع من السيرة الذاتية[٧]، "إن ضمير المتكلم يذيب النص السردي فيجعل القارئ ينسى المؤلف وهكذا يستطيع التوغل إلى أعماق النفس البشرية فيعريها بصدق ويكشف نواياها ويقدمها للقارئ كما هي لا كما يجب"[٨] فمنذ السطور الأولى من الرواية يظل ضمير الأنا، الذي يجئ على لسان الراوية المهيمن على النص السردي في هذه الرواية نجد ضمير المتكلم "أنا " ولكن في بعض اللحظات نستوقف لنجد أن الراوية تتحدث مع شخص واحدًا فقط وهو المعني بالخطاب التي أرسلت له هذا الخطاب، لتكتب

7 د. آمنة يوسف، تقنيات السرد بين النظرية والتطبيق، ص٥٤

8 عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، ص٩٥.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

في بداية الرواية (عزيزي إحسان)، إنه بالفعل خطاب للكاتب إحسان، أو سيرة ذاتية مكتوبة لهذا الشخص إحسان، الكاتب المشهور المعروف المؤلف للكثير من الروايات عن الفتيات وخاصة الفتيات المراهقات، وتعرّف نفسها أنا نادية لطفي لتبدأ الرواية فيما بعد بضمير المتكلم " أنا" وتسرد لنا أو بمعنى أصح تسرد للكاتب إحسان كل ما مرَّت به من أحداث وأفعال.

كانت تروي وتحكي لإحسان كيف فعلت هذا بصديقتها كوثر، وكيف شعرت حينها عندما تكمل خطتها لتنهي على سعادة كوثر، حيث تقول:**" بت ليلتي على فراش من الجمر.. أحاول أن أهرب من نفسي فلا أستطيع، وأحاول أن أتنصل من جرمي فيزداد التصاقًا بي كأن رأسي يلتهب وضميري يصرخ ويكاد صراخه يمزق جسدي**، ثم أكملت حديثها لتقول الراوية: **" لقد تعذبت ليلتها يا إحسان.. تعذبت كثيرًا"** [9]

ليستوقف القارئ فجأة مما يجعله يشعر أنه ليس المقصود بقراءة هذه الرواية، ولكنه مشاهد من الخارج. تتحدث البطلة الراوية للكاتب دون الشعور بالمتلقي كأنها تسرد لشخص واحد فقط عن كل آلامها وكل ما تشعر به تنتظر منه سبل النجاة للتخلص من عذابها بالتأنيب الذي يلاحقها ويحول دون نومها، كما ورد في عنوان الرواية "لا أنام"، وهكذا، فضمير الأنا، الأكثر التصاقًا بالشخصية الروائية من شأنه أن يوظف لعبة الإيهام الفني بشكل يوحي بواقعية ما يجري، وأيضًا يُقنع القارئ كي يتعاطف مع مرارة التجربة التي مرت بها نادية تجربتها الشخصية أو سيرتها.

الظواهر النفسية للراوية (نادية):

وإذا نظرنا للراوية وظواهرها النفسية سنجدها منحصرة في التشكيك والأذى المخفي بغريزة تدمير الغير عن طريق تحطيم القلوب وتأنيب الضمير أو بمعنى أصح **عقاب النفس** الذي يختلف من الوجهة السلبية عن تأنيب الضمير الذي بوسعه أن يمنع الفرد من ارتكاب الخطأ لا التلذذ من هذا التحطيم، و**عقدة إليكترا**، نجد أن ما عند نادية هي العدوانية السلبية بشكل غير مباشر تجاه الآخرين وهو نوع من أنواع **السادية النفسية** والتلذذ بآلام الأخرين، وبالرغم من أنها كانت تقوم بأذية من حولها حتى وإن كان أبيها إلا أنها كانت ضحية لعنصر التفكك الأسري، فهي أيضًا كانت تتألم لم تشعر بالراحة مما تفعله لم تكن تنام من كل ما تفعله كان لديها عقاب النفس الذي كان يجلد ذاتها، فقد كانت ضحية للألم النفسي التي سببته لنفسها ولمن حولها، وهي تقول: **"إنّي ضحية نفسي.. نفسي التي لا ذنب لي فيها.. نفسي التي غلبتني دائمًا، ودفعتني دائمًا إلى الشر.. إلى الخطيئة .... نعم يا عزيزي إحسان إنّي شريرة.. إنّي مدمنة شر!!"** [10].

---

[9] إحسان عبد القدوس، رواية لا أنام، ص٢٧.

[10] المصدر السابق، ص١٢.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

التحليل والصراع النفسي في الرواية:

والراوية من الصفحة الأولى نجدها تسأل متشككة في وجود الله، وهي تعي أنه سؤال سخيف رغم إيمانها بالله العلي العظيم، كما تقول: **" كان كل ما أهويه أن أسألك سؤالا واحدا: "هل الله موجود"**[11]

نعم.. إنّي مقتنعة بوجود الله مقتنعة إلى الحد الذي يجعل القلم يرتعش في يدي الآن، ثم تستطرد في الكلام لتقول، **ربما أردت أن أسألك: ما هو الله؟**[12] لتجاوب على هذه التساؤلات وتقول: **" أنه الحق، وهو الفضيلة، وهو الخير.. فلا يستطيع نبي أن يدعونا إلى عبادة الضلال أو الخطيئة، أو الشر. وهو القادر.. فلا يمكن لأهل الأرض أن يجتمعوا على عبادة إله ضعيف لا حول له ولا قوة"**[13].. لتكمل العديد من تساؤلاتها **"اذن لماذا يتركنا الحق القادر، للضلال الضعيف؟!**

لماذا تتخلى عنا الفضيلة للخطيئة؟!

لماذا ينتصر الشر فينا على الخير؟! وتستطرد في الإجابات عن هذه التساؤلات متعجبة من خلق الخير والشر، ولماذا نفسها يوجد بها هذا الحد من الشر، واصفة نفسها أنها جميلة ووجها كوجه طفلة ومليئة بالبراءة التي لم تتحذر منها، وتستطرد بضمير المتكلم وتقول بعد وصفها لنفسها وبجمالها، "أنا لا أخاف إلا من نفسي، ولا أطلب الحماية ألا من نفسي"..

ونجد أن هذه التساؤلات ما هي إلا لتتهرب بضميرها مما فعلته وتحمله للوجود واللاوجود، أي أنها ليست مخيرة، على جرائمها التي لم تنص عليها قانون إلا قانون السماء، ولم تعرض على محاكم إلا محكمة الضمير..

ومن هذه التساؤلات وهذه السطور نستطيع أن نفهم عدة أمور عن الشخصية وهي دائمًا ما تستخدم جلد الذات لأي فعل تقوم به، بالرغم من الجُرم التي تقوم به لمن حولها، ونفسها التي غُلبت عليها لأن تقوم به إلا أنها لم ترتاح، بسبب جلد الذات، دائمًا ما تستخدم التشكيك بالرغم من معرفتها الحقيقة إلا أنها في سلاح ذو حدين التشكيك والشك، وهذا هو جُرمها الوحيد دائمًا ما تحاول أن تزرع الشك فيمن حولها لتخرب حياة من حولها، تأذيهم في أنفسهم لا في أجسادهم، فهي تعلم بوجود الله، ولنقل بشكل أوضح وهذا ما يدفع أي إنسان إلى التساؤلات في هذه الجزئية وهي التشكيك في القدرة الإلهية وهي لحظة اليأس، يتساءل كل شخص فيها لماذا لم ينفك عني الأذى حتى الآن؟ ولماذا بداخلي كل هذا الشر؟ ولماذا الإنسان يمشي في ذاك الطريق؟ ولماذا يغلبنا هذا الأمر، مع إن لا أريد لحياتي هكذا؟ لماذا تدفعنا أنفسنا لهذا الفعل الشنيع؟ ولماذا نشعر بكل هذا الألم؟ هل

---

[11] إحسان عبد القدوس، رواية لا أنام، ص٩.

[12] المصدر السابق، ص١٠،٩.

[13] المصدر السابق، ص١٠.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

أنا بالفعل مُسيّر أم مُخيَّر؟ كل هذه التساؤلات تكون ناتجة عن لحظات اليأس التي عانى منها الإنسان بسبب الظلم الذي يعيشه، سواء كان الظلم من النفس ذاتها أو ممن ما حولهم، ولنقول أننا بالفعل يجب أن نفكر في الكثير من التساؤلات ولكن لتحديد مسار اتجاهنا في الحياة، لنتفادى منه ما يُؤلمنا، وتبقى أنفسنا في سلام، ولنصحح به مسارات حياتنا ونقوم بتحليل المواقف التي تعرضنا لها، حتى لا تغلب عليه أنفسنا ونكون في مأزق مع ذاتنا، فنادية كانت في لحظة اليأس من الأذى الذي تعرضت له، أو الأذى الذي تعيشه، حتى وإن كانت تحمل الجُرم لمن حولها فهي تحمله لنفسها أيضًا، حيث تُلَوِّس هذه النفس والروح التي في داخلها، فكانت دائمًا متشككة في نفسها ووجودها.

وبعد أن أفاضت بالحديث عن الوجودية وعن نفسها ووصفها استرجعت بالذكريات لتحكي عن جريمة من جرائمها بصيغة الماضي، وتقول وهي كانت صغيرة في العمر، **" كنت في الثانية عشرة من عمري، وكنت أعود من المدرسة ..... ولاحظت فتى يقف على جانب الطريق، إني مازلت أذكره حتى اليوم.... كان في حوالي السادسة عشر من عمره طويلا عريض الكتفين"** واصفة له إنه دائم الوقوف ينظر لها **"ودائمًا ينظر إليَّ فاغرا فاه كالمصعوق"** [١٤] وينتظر موعد عودتها وهي آتية من المدرسة، بدأت تفهم هذه النظرات وتشعر بجمالها، لكن لم تشعر بجمالها لتتباهى به وحسب، بل تأذي به، عندما بدأت التفكير به اتجه تفكيرها للتدمير والتحطيم واشباع غريزتها، وأرادت أن تنفذ خطة خبيثة، وتقول:

ولكن تفكيري بدأ يتخذ – دون تعمد مني- اتجاها خبيثًا.. كنت كالطفلة التي تفكر في تحطيم دميتها لسبب لا تدريه إلا الرغبة في التحطيم.. كنت أريد أن أراه محطما دون ذنب جناه.. (وانسفت انسياقا لا شعوريا في تنفيذ الخطة الخبيثة) [١٥]

لقد خذلت هذا الفتى بعد أن أعطته شعورًا يوحي أنها تريده مثلما يريدها، لم يكن شعورًا ملموس ولكن بالابتسام والتباطؤ في المشي لتعطيه فرصة اللحاق بها، لم تكن تريده ولكن أرادت فقط الرغبة في التحطيم، تحطيم القلب، تحطيم النفس، وفي تنفيذ خطتها كان شعورها يتخابث أكثر دون تأنيب ضمير أو الإرجاع عن ما تفعله، بل كانت لا تشعر إلا بالتلذذ، فقد ارتبطت غريزة اللذة لديها بغريزة التدمير، كلما انتصرت في خطتها ودمرت ضحيتها، كلما أشبعت شعورها بالتلذذ من ضحيتها واصفة شعورها وهي تقول: **"وفي صدري شعور خبيث جارف لا أدري كنهه.. شعور فيه خوف، وفيه لذة، وفيه رهبة، وفيه تردد.. كشعور المقامر وهو يقامر بكل ما يملك"، " الشعور الخبيث اللذيذ يشتد في صدري، وتشتد معه ضربات قلبي"**، وما أن انتهت من تدمير

---

[14] إحسان عبد القدوس، رواية لا أنام، ص.١٤

[15] المصدر السابق، ص١٤.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

ضحيتها وانتصارها لم تنفك عن الراحة، بل ابتدأت الحيل الدفاعية في استخدامها لاعتدال هذه النفس واللوم عما بدر منها، لتشعر بحجم الخطأ الذي ارتكبته دون داعي من الضحية لتصف الراوية الشعور الذي كان بداخلها وعما حدث بعد انتصارها لترينا كم العذاب الذي تعيشه الشخصية بالرغم أنها لم تكن الضحية **" وانكفأت إلى الفراش وأخذت أبكي.. بكيت كثيرا.. ورغم ذلك فلم تستطع الدموع أن تريحني ولا أن تغسل جريمتي"، ولم أنم ليلتها، وقضيت عدة ليال لا أنام.. ظل قلبي منقبضًا حتى يكاد في انقباضه يحبس الدم عن عروقي، وظللت كلما تذكرت فعلتي هذه أحس بالخجل من نفسي، خجل ممر كأن سكينًا يشق صدري"**[١٦]

تدخل الأنا العليا من خلال عقاب النفس وجلد ذاتها وليس تأنيب الضمير كما يقول بعض النقاد في هذه الرواية، فالأنا العليا، وهي الرقيب على النفس تنشق في اتجاهين، اتجاه إيجابي وهو الذي يعدل فيه الفرد عن فكرته ورغبته عن الأذى والجُرم، وإن لم يعمل هذا الاتجاه، لا يتجه إلا الاتجاه الآخر وهو اتجاها سلبيا ويبدأ بمعاقبة النفس من خلال إصدار بعض الدفاعات التي تعدل النفس عنها، وهذا ما جعلها تبكي وتشعر بالتعب النفسي بالرغم من عدم العدول عن خطتها، بل والأكثر من ذلك هو التلذذ وقت تنفيذ الخطة ونجد أن هذا النوع من التلذذ بآلام الاخرين ما هو إلا نوعًا من أنواع السادية لدى الذات.

وتحكي الراوية أيضًا بصيغة ضمير المتكلم المهيمنة على الرواية أكثر من جريمة تفعلها ويكون الشعور ما قبل تنفيذ خطتها واحدا، ولكنه يتضاعف مع كبر الجريمة أو إن كان التحطيم أقوى لتصف لنا شعورها عند تحطيمها قلوب كوثر وابن خالها مدحت عندما لاحظت أن كلا منهما نشأ بينهما حب، تقول: **"وبدأ الشعور الخبيث يزحف على صدري... بدأت أحس بالرغبة البشعة في تحطيم الدمية.. وكانت أمامي دميتان لأحطمهما"**[١٧]

وتكمل حديثها للكاتب **"وأقسم إني قاومت هذا الشعور وهذه الرغبة بعنف بكل إرادتي وبكل أعصابي"**[١٨]وفي هذه المقاومة لم تنجح كثيرًا، فبالأخير سيطر عليها الدافع الغريزي للتدمير والتحطيم لتشعر بالتلذذ وكأن روحها تستمد غذاءها من الشر، مدمنة على المقامرة، لا تستطيع أن تنفك عنها. ولكن هذه المقامرة من نوع آخر لا يوجد فيها خسران أي أموال، بل الخسارة في القلوب التي تحطمها وهي تقامر على نجاح خطتها، لتنجح في الآخر وتنتصر بخطتها على تحطيم القلوب والنفوس، لتقول:**" ونجحت في**

---

16 إحسان عبد القدوس، رواية لا أنام، ص١٥، ١٦، ١٧.

17 المصدر السالبق، ص٢٠

18 المصدر السابق، ص٢٠

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

التغلب على شعوري الخبيث طوال فترة الصيف"[١٩]، وعند سماعها لأحاديث الحب بين كوثر ومدحت ابن خالها، لم تحتمل هذا الشعور وبدأت نيران الغيرة والحقد تشتعل في داخلها، فهي لا تحب أحد سعيد، لأنها لم تكن سعيدة، لتقول: **"انما بدأت الأحاديث تذكى الشعور الخبيث في صدري، وبدأت الرغبة في التحطيم تستبد بي، وأصبحت كلما لجأت إلى فراشي لا أنام.. إنما أفكر.. وأفكر.. إلى أن وضعت خطة.. وبدأت تنفيذها.. وبدأت أتلذذ بشعوري، أتلذذ بالخوف والرهبة، والتردد.. لذة امتحان الذكاء.. لذة النشوة بالأمل المرتقب.. لذة المقامر وهو يقامر بكل ماله!!**[٢٠]**،" وأخيرًا اقتنعت بأني حطمت الدمية"،" إلا أني كنت أحس بالضيق، وبصراخ ضميري كلما رأيت كوثر.."، "وكنت دائمًا أحاول أن أقنع نفسي بأن ليس لي يد فيما ألم بها، وإني لم أفعل إلا "مقلبا" صغيرًا.. ولكني لم اقتنع.. وبدأت لا أنام.."**[٢١] وتحاول النفس أن تستخدم أي آلية للدفاع عن ارتكاب تدمير القلوب لعل يخرج هذا الشعور المهيمن بالذنب، ولكنه يرفض لإدراكه بالشعور الحقيقي، وأنها حقًا مذنبة فيبدأ يتخذ شكل آخر بمعاقبة النفس في شكل صور لها، الشعور بالضيق، ألم في الصدر، عدم التحمل النفس وعذابها، التوتر والخوف والترقب، هل من اتهام لي، هل أحد سيشير لي أصابع الاتهام؟، والقلق الزائد مع قلة النوم، فقد النوم من الإرهاق ليرتاح الجسد قليلا، وتبقى النفس متيقظة، وتبدأ محاسبة نفسها ثمة رجوع عن أمر خطتها، ولكن بالرغم من كل هذا الشعور الذي يصاحبها، إلا أنها لا تهدأ حتى تُكمل خطتها بنجاح وتنتصر، وتصف الراوية هذه اللحظات التي تعيشها، وتقول: **" فقد كنت فعلا شاردة مرتبكة تمزقني الحيرة بين نفسي الشريرة الجبانة، وضميري الصاحي الذي لا ينام.. كان ضميري يتغلب أحيانًا فأكاد أتقدم إلى كوثر لأعترف لها...، ولكن نفسي الشريرة لا تلبث أن تغلبه فأعود...."**[٢٢]

وتكمل الراوية واصفة كل ما يحيط شخصيتها من الداخل والخارج، وكأن إحسان الكاتب أمامها جالس لم ينفك عنها، بل لنشعر أن تُحدثه وهو أمامها مستمع لما تقوله بكل إنصات واهتمام، معبرة لإحسان أن الأذى لم يقف عند تحطيم كوثر وابن خالها، بل أصبحت هذه الغريزة، غريزة التدمير، تظهر عليها عندما تنجح خطتها لتقول **" وأقسم لك أن ما حل بمدحت وكوثر حل بي منذ ذلك اليوم، فلم أعد اكل ولا أضحك ولا أنام ولا أتذوق الحياة.. كنت أحس كأن مسام جسدي كلها تتفصد بجريمتي.. وكنت أحس كأن ضربات رئتي قرعات فوق طبل أجوف في موكب جنائزي.. وكنت أحس بنبضات قلبي**

---

19 إحسان عبد القدوس، رواية لا أنام، ص٢١،٢٠.
20 المصدر السابق، ص٢١.
21 المصدر السابق، ٢٩،٢٨.
22 المصدر السابق، ص٣١

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

كأنها قبضة يد فوق عنقي تنطبق وتنفرج.."[٢٣]

لتصف الراوية حجم معاناتها بجرمها عندما حطمتهما **" فقد ظلت هذه الجريمة كالبقعة السوداء في ثوبي الداخلي.. أراها كل مساء وأنا أخلع ثيابي عن نفسي، وأتذكرها كلما التقيت بمدحت"**[٢٤]

وتقول في موضع آخر من الأذية وغلبتها على النفس: **"وبدأت لا أنام.. بدأت أقاوم نفسي حتى لا أرتكب اثما في حق مرفت الطيبة السهلة البريئة.. ولكني لم أستطع"**[٢٥]

الشعور بالندم: " تعذبت لأني ندمت"..[٢٦]

" ندمت على جريمة ارتكبتها في حق صديقة بريئة/ جريمة لم أكن في حاجة إليها، وبدأت أعاني انقباض صدري حتى يكاد في انقباضه يحبس الدم في عروقي.. وأعاني من الخجل من نفسي.. خجل مر جارح كأن سكينا يشق صدري.. وبدأت افتعل أزمات في البيت، فأتشاجر خلالها مع الخدم، أو أكسر شيئًا، أو أضرب كلبي حتى أداري لهذا الخجل.. خجلي من نفسي!!

ومضت أسابيع وأنا.. لا أنام!!

وهو ذات الشعور الذي يحدث معها قبل وقوع جريمتها وتدمير بيتها، حتى أن بيتها وأبيها، وأهلها لم يسلموا من شرها،**" وبدأت أفكر تفكيرا هادئا خبيثا.. كأن حية رقطاء قد انطلقت من رأسي وبدأت تزحف على بطنها وسمها في أنيابها.. وتملكني نفس الشعور الذي تعودته كلما أقدمت على ارتكاب شر.. شعور المقامر الذي وضع كل ما يملك فوق المائدة وانبهرت أنفاسه في انفاسه في انتظار أن تقف عجلة الحظ.. كنت ساعتها أبحث عن الخطة.. الخطة التي سأهدم بها زوجة أبي!!"**[٢٧]

وعندما نفذت أول معلم لها من معالم جريمتها الكبرى وحطمت أبيها، كانت تُعذب مرتين مرة لنفسها، ومرة لعذاب أبيها الذي يحتمله عندما قرأ خطابها المسموم الوهمي، عذاب الرجل المطعون في شرفه وكبريائه، وفي هذه الجريمة بدأ جسدها يُعاقبها هي الأخرى لم يكتف ضميرها بعذابها، بل أصبح جسدها يؤلمها لتصف لنا الراوية، **" وأحسست إني أختنق.. أحسست أن أمعائي تزحف صاعدة في داخل جسمي حتى تلتف حول حلقي وتضغط عليه، وكنت أتقزز من نفسي... وكنت أتعذب.... تعذبت كثيرا"**[٢٨]

و لقد قصدت الراوية في حديثها للكاتب عبر مذكراتها إلى توضيح لغتها باستفاضة

---

[23] إحسان عبد القدوس، رواية لا أنام، ص٣٢

[24] المصدر السابق، ص٣٢.

[25] المصدر السابق، ص٤٩.

[26] المصدر السابق، ص٥٠

[27] المصدر السابق، ص٢٠١

[28] إحسان عبد القدوس، رواية لا أنام، ص٢٣٦

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

حيث توضح له مدى الألم والوجع الذي يشوبها وصراع الآهات الداخلية المنبثقة من نفسها، حيث أخذت جريمتها تطورا في شكل آخر، فانقلبت على جسدها لتشعر بعقاب النفس التي أحست كأن سكينا ينغرز في جنبها، وسياطا حادة تنهال عليها وتمزق جسدها ووجها، وكلما كانت الجريمة أكبر يبدأ الجسد في معاقبتها أكثر، **"وأحسست بظلام داكن يحيط بي ويقترب مني شيئًا فشيئًا، حتى لم أعد أرى شيئا.. وأحسست أني سقطت على الأرض.. الظلام أحاط بي مرة ثانية ورأيت جدران الغرفة تدور بي كأني دوامة قد ابتلعتني.. وسقطت مرة ثانية مغشيا عليَّ.. ولكن اغمائي حقيقيا، لم يكن فيه افتعال ولا تمثيل.. كانت جريمتي قد تجسمت بشاعتها في نفسي.... وكان شعوري بالجرم قد أصبح أكبر مما تحتمله أعصابي إلى حد إني فقدت الشعور.. وحاولت أن أقوم من رقدتي ولكني لم أستطع.. شعرت بضعف لم أشعر به من قبل، بقيت في فراشي.. متهافتة.. ضعيفة.. غاية في الضعف.. وكأني فقدت السيطرة على جسدي، أو كأن دمائي تتخلى عني وتنزف من مسامي.. وانهمرت دموعي صامتة حزينة كأنها تفسح فوق وجنتي طريقا لموكب العذاب... ثم بدأ هذا الضعف يصحبه نوع من الألم.. كان ألما خفيفا.. ثم بدأ يشتد شيئا فشيئا.. ألم في جنبي ثم يطوف بجسدي إلى أن ينطلق من بين أصابعي.. ورحبت بالألم.. وجدت فيه السلوى.. وبقيت مستسلمة للضعف والألم، وأحسست بدمائي تتجمد، وتتحرك ثقيلة في عروقي كأنها حبات الرمل.. أحسست بأطرافي كلها تنثلج وكأنها شلت.. ولكني فجأة صرخت صرخة حادة.. وانكفأت على وجهي قد تقلصت كل عضلة في، وتقلصت أصابعي فوق الوسادة.. وصرخت صرخة أخرى.. ثم عضضت الوسادة بأسناني حتى لا أصرخ.. كنت قد شعرت كأن سيخا محمي في النار قد انغرز في جنبي.. ألم.. لم أستطع أن أستسلم له.. لم أستطع أن أطيقه.. فصرخت!"**[٢٩]

وكانت تشعر أن ما حدث لها هو ذنب جريمتها البشعة التي جعلت أبيها يطلق على زوجته بأنها خائنة، فعندما سألها أبيها ما بها؟! لم تقل إلا كلمة واحدة من وحي اللاوعي المسيطر على ذهنها بالحقيقة المُرة التي لم تخرج من أمام أعينها " ده ذنب طنط صفية"، وكأن الألم كان يغسلها من جُرمها، وكأن الألم الجسدي كانت تشعر به أنه يطهرها ويطهر روحها من عذاب الآخرين، لقد عاقبت كل آليات الدفاع لديها غريزتها، ولم تستع التحكم فيها، فأصبح المخ يعطي إشارات بعدم تحمل هذا العذاب فأصبح يعاقب الجسد بشكل موضعي، فقد أصيبت بحالة "مغص كلوي" حاد.

ونجد الرواية تستحضر عبر مروى البطلة الشخصية التي تعاني (نادية) تقنيات الوعي بأسلوب استبطاني استرجاعي نفسي قوامه: التذكر، للكشف عن داخلية الشخصية

[29] المصدر السابق، ص٣٠٥:٢٩٢.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

العالقة في هذا الألم من تأنيب الضمير، ففي باطن هذه الشخصية نجدها أنها **سادية**، وما أن تحقق هذا الشعور يصحب معها شعور اللذة، وذلك من خلال معاملتها للخدم كما وضحت لنا الراوية نادية" **"فبدأت أتعمد إلقاء الأوامر إلى الخدم، وأتلذذ وهم يهرعون إلى تلبيتها.. وأتعمد افتعال الأسباب للومهم وأحيانًا لطردهم من البيت، وأتلذذ وهم يقفون أمامي صاغرين أو يخرجون من البيت أذلاء"**[٣٠]

وترى في محاولتها لسرد قصتها لإحسان أن الوقت قد فات، ولكنها تسترجعها، تسترجع ذكرياتها، ذكريات الألم والعذاب والندم، محاولة لنفسها الاستشفاء لعلها تنام، ومن بعد حجم الجُرم الذي فعلته بحياتها وأن الكاتب (المؤلف) من خلال الراوية نفسها وهي تتحدث عن نفسها، أوضح لنا في نهاية الرواية أن الجزاء من جنس العمل وتحطم قلبها هي الأخرى، فنجد أنها بهذه الطريقة طريقة السرد لشخص ما وإن كان المؤلف فهي مستخدمة بالفعل طريقة التداعي الحر ولكن عن طريق الكتابة، إذا نظرنا للرواية من منظور آخر سنجد أن البطلة مستخدمة "التداعي الحر" ولكن بطريقة غير مباشرة، لتخاطب الكاتب بخطاب تريد أن تحكي ما بداخلها، أي دون تعمد منها، وها هنا أول طريق للشقاء كما يقول سيغموند فرويد لتحكي لنا الراوية من خلال خطابها لإحسان، عن كل ما تشعر به من اضطرابات ومقاومات قبل حدوثها للشر، وصراعات لتبدأ عدم تحكمها في الغرائز لديها من التدمير، وزرع الشك، لتتحطم القلوب حولها، كأنها متلذذة بذاك الشعور الذي يصاحبها بكل ما تحمله النفس أثناء تنفيذ جرائمها، ويتضح لنا من خلال وصف الراوية، والتحدث عن نفسها: **من أين أبدأ قصتي؟ إني حائرة.. فكل يوم من أيامي هو بداية للقصة، وكل يوم نهاية لها... ولكني أذكر يووما بالذات لا أستطيع أن أنساه.. يوما أحسست فيه أن حياتي بدأت تتحرك بعنف.. أحسست أن الأحداث تدفعني بعد أن كنت أنا التي تدفع الأحداث، وإني لم أعد أملك الدنيا، ولكن الدنيا أصبحت تملكني.."**[٣١]

ودائمًا نجدها تستخدم لا شعوريًا التعنيف النفسي، عما تفعله فيمن حولها الذي يجلدها كل ليلة ولم يجعلها لا تنام، لقد دخلت لها معاناتها النفسية لأعراض جسدية من خلال مرضها بالكلي وشحوب وجهها من خلال التفكير كل ليلة عما فعلته بزوجة أبيها، وهو ما يسمى بالتجسيد Somatization هي تحويل المعاناة النفسية لأعراض جسدية كالألم والتعب، ودائمًا لا توجد أية صعوبة في شرح الإحساس الشعوري السوي بالذنب(الضمير)، فهو يرجع إلى التوتر بين الأنا والأنا الأعلى، حيث يكون عبارة عن حكم بإدانة الأنا ويصدر عن وظيفة الأنا النقدية، فرغباتها المكبوتة في تحطيم من حولها تسبب لها الإحساس بالذنب عندما تُحطم الدمية، ولكن عند اشتداد هذه الإحساس

[30] إحسان عبد القدوس، رواية لا أنام، ص٣٣٤
[31] إحسان عبد القدوس، رواية لا أنام، ص ٣٤.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

اللاشعوري بالذنب قد يجعل الناس مجرمين، فمن الممكن أن نكتشف عند كثير من المجرمين، إحساسًا قويًا بالذنب كان موجودًا قبل الجريمة، فهو ليس ناتج عنها، إنما كان الدافع لها، ونجد الكثير من الأشخاص يجدون شيئًا من الراحة إذا تمكنوا من ربط هذا الإحساس اللاشعوري بالذنب بشيء واقعي مباشر، حيث يقوم الأنا الأعلى في جميع هذه الحالات بإظهار استقلاله عن الأنا اللاشعوري، وبإظهار دقة صلاته بـ الهو اللاشعوري، وبما إن الإحساس بالذنب هو عبارة عن حدوث إدراك حسي في الأنا، والأنا الأعلى يتكون من الإدراكات الحسية السمعية، شأنه في ذلك شأن الأنا' فهو جزء من الأنا، أي يظل قادرًا على النفاذ إلى الشعور بسهولة عن طريق المفاهيم والأفكار، أي تنشأ عن مصادر موجودة عن الهو[٣٢]، وقد أصبحت غريزة الهدم هي السائدة لنادية المستحكمة في الأنا العليا لديها وأخذت تتجه ضد الأنا، لتخرج وتكبر غزيرة الهدم مع مرورها وكبرها لم تنتهي ولم تقتصر على التحطيم بالخذلان، ولكن وصل الأمر بتفريق الأحبة بزرع الشك حتى وصل الأمر لتحطيم الأب بين سلاح ذو شقين بلذة الانتصار على دميتها والعذاب والألم لذاتها التي لم يبرح عنها يومًا. ويقول سيغموند فرويد إن أكبر عقبة تعترض جهودنا في العلاج هو عقاب النفس، أي إذا كان المريض يحاول الشفاء من جميع أمراضه النفسية، فلا يمكن بسهولة الشفاء من هذا المرض وهو عقاب النفس، فهذا المرض يتشبث بالمريض تشبثا مكينًا، فالحاجة اللاشعورية إلى عقاب النفس تتصرف كما لو كانت جزءًا من الضمير، كما لو كانت امتدادا للضمير في اللاشعور، بل أنها بمثابة قطعة من العدوان يبطنها الفرد ويستحوذ عليها الأنا الأعلى، وهذا العدوان النفسي لعقاب النفس هو الذي استحوذ من جهة أخرى على الأنا الاعلى، ويستخدم ضد الأنا، يقوم بنشاطه الصامت داخل النفس في الأنا والهو كأنه غريزة هدم طليقة[٣٣].

ويوازن فرويد بين الحاجة اللاواعية للعقاب المعبر عنها في أنماط مختلفة من عذاب الذات وتخريب الذات مع الشعور اللاواعي بالذنب. ولكن هناك أسباب نظرية وسريرية مقنعة للتمييز بين الذنب الحقيقي والحاجة اللاواعية للعقاب والتي تعمل كبديل للشعور بالذنب وتتمثل وظيفتها على وجه التحديد في درء الشعور بالذنب الذي لا يطاق. في حين أن الشعور بالذنب يجسد القلق الاكتئابي والقدرة على الاهتمام بالآخر الذي يميز الموقف الاكتئابي والذي يحفز الرغبة في التعويض، فإن الحاجة اللاواعية للعقاب تعكس

---

[32] ينظر سيغموند فرويد، الأنا والهو، ترجمة وإشراف الدكتور/ محمد عثمان نجاتي، مكتبة التحليل النفسي والعلاج النفسي، دار الشروق، ط٤، ١٩٨٢، ص٨٥،٨٤.

[33] ينظر سيغموند فرويد، محاضرات تمهيدية جديدة في التحليل النفسي، ترجمة: عزت راجح، مراجعة: محمد فتحي مكتبة مصر، ص٩٨، ٩٩.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الديناميكيات النرجسية[٣٤]، وقد يكون ذلك من عمل الأنا العليا العقابية اللاواعية، ويقول فرويد إلا يصدقنا المرضى بسهولة عندما نخبرهم عن الشعور اللاواعي بالذنب. إنهم يعرفون جيدًا بما يكفي من العذاب - آلام الضمير - الشعور الواعي بالذنب، والوعي بالذنب، الذي يعبر عن نفسه، وبالتالي لا يمكنهم الاعتراف بأن بإمكانهم تحمل دوافع مماثلة تمامًا في أنفسهم دون أن يكونوا على أقل تقدير. لذلك أعتقد أننا إذا تخلينا عن مصطلح الإحساس اللاواعي بالذنب قد نتمكن من مواجهة اعتراضهم إلى حد ما، وربما يكون غير صحيح من الناحية النفسية، وتحدثنا بدلاً من "الحاجة إلى العقاب".

إن المساواة بين ضرورة العقوبة والشعور بالذنب تحجب الوظيفة الدفاعية الأساسية: التهرب من الذنب، ويشعر الشخص دون وعي بالذنب. دون الشعور بالذنب، غالبًا ما يحكم الأنا العليا اللاواعية للموضوع على أنه مذنب. في كثير من الأحيان، بدلاً من الشعور بالذنب، ويسعى الموضوع في كثير من الأحيان إلى العقاب دون وعي. ويمكن أن نرى مثل هذا العقاب الذاتي وكأنه دفاع ضد عملية إدراك الذنب والشعور بالذنب. وقد يصاحب الشعور بالذنب حالة الوجود أو الحكم عليه بأن الذنب غائب لأن الشعور بالذنب لا يطاق. وبذلك، فإن تطورها يكون قصير المدى من خلال آليات عذاب الذات، والتي يكون الألم جرائها أفضل بطريقة ما من الشعور بالذنب الذي لا يطاق.

لذلك أقترح أن نحتفظ بمصطلح الذنب لأوجاع الضمير التي تؤدي إلى الجبر، بخلاف الآلام التي تحل محل الجبر، وأن نتوقف عن الخلط بينه وبين الأنماط اللاشعورية لعذاب الذات والتخريب الذاتي التي وصفها فرويد. وبالرغم من عدم اتحادهم مع ارتباط فرويد لمثل هذه السلوكيات بالذنب اللاواعي، إلا أن ريسينبيرج مالكولم Reisenberg-Malcolm(١٩٨٠)،ومؤخرًا سيفين جرارد Safan-Gerar (١٩٩٨)، أظهرا ِانطلاقا من تخصصهما ِ كيف أن العقاب الذاتي اللاواعي، الذي يشير إليه الأخير بـ "الكفارة"، يخدم للتهرب والدفاع ضد تجربة الذنب والقلق.

إن معادلة فرويد للحاجة اللاواعية للعقاب بالذنب اللاواعي قد حجبت الوظيفة الدفاعية لعذاب الذات اللاواعي ودورها في التهرب المزمن من المعاناة العقلية والقلق الاكتئابي والشعور بالذنب والندم التي يجب مواجهتها واحتوائها في العمل من خلال موقف الاكتئاب. في كثير من الأحيان، عندما يحكم الأنا العليا اللاواعية علينا بالذنب، فإننا نتجنب الشعور بالذنب من خلال الذهاب مباشرة إلى معاقبة الذات. ولسوء الحظ فإن

---

34 Donald.L.Carved,Ph.D. The Unconscious Need for Punishment Expression orEvasion of the Sense of Guilt http://www.yorku.ca/dcarveth/guilt.html

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

التهرب من الشعور بالذنب بهذه الطريقة يحول دون التقييم العقلاني لمثل هذا الذنب الذي من شأنه أن يمكّننا من اتخاذ قرار بشأن قبوله والتعويض عنه، أو رفضه باعتباره غير عقلاني ولا أساس له.

وقد يتم قمع القلق الحقيقي أو الشعور بالذنب مؤقتًا، ولكن إذا تم قمعه مطلقًا فإنه يتوقف عن الشعور بالذنب مطلقًا، أي أن قمعه يمثل بداية الانحدار الذي يلجأ فيه الأنا الأعلى إلى الذات.

- العقوبة بديلا عن الذنب ودفاعا عنه. والعقوبة هنا مع الراوية نادية هي ليست عقاب النفس وآلام الضمير، بل تفاقم الأمر ليصبح العقوبة للجسد الذي يحمله هذا الضمير، وهذه الغريزة، وهذه الأفكار.

عندما يشير فرويد إلى "العذاب - آلام الضمير" التي يعبر بها "الشعور الواعي بالذنب، عن نفسه"، يتساءل المرء عما إذا كانت هذه الآلام تمثل ذنبًا حقيقيًا أم عذاب الذات الذي كثيرًا ما يدافع عنه. إن المعاناة من آلام الضمير إما أن تبدأ جهودًا تعويضية تميل إلى تقليل عذاب الذات من خلال استعادة بعض الثقة الإيجابية بالنفس، أو تؤدي إلى عقاب ذاتي مزمن أو واعي أو غير واعي. في رأيي، لا يعني تحمل الذنب المعاناة من آلام دائمة، ولكن الاعتراف والسعي قدر الإمكان لإصلاح الضرر الذي حدث، وبهذه الطريقة استعادة الأشياء الجيدة واحترام الذات، مع عيش وعي الشر الذي يصاحب حتما الخير. ويمكن أن تؤدي آلام الضمير المؤلمة إما إلى نشاط تعويضي بناء أو بديل عنه. وفي الحالة الأخيرة، يحل عذاب الذات محل الشعور بالذنب. ويمكن أن نعرف الذنب من حيث عواقبه.. فإذا أدى إلى جبر الضرر تجاه الشيء، فهو الذنب. إذا أدى إلى عذاب الذات فهو ليس كذلك. وعدم القدرة على أن تكون سيئًا وفي نفس الوقت أن تكون جيدًا، لذلك أن تكون جيدا هو البديل الوحيد لكونك سيئًا.

إن النوم يجعل تكوين الحلم أمرا ممكنا لأنه ينقص قوة الرقابة النفسية الباطنة،[٣٥] وإذا كانت نادية لا تنام ـ بسبب الشعور اللاوعي بالذنب ـ ولم تكن الرغبات اللاشعورية تتحقق في عقلها الباطن في هيئة صور وأحلام في منامها، بحيث يدل اللاشعور على وجود عمليات نفسية لا شعورية، وإن الإحساس لا يصبح شعوريًا إلا إن بلغ درجة معينة من الشدة[٣٦]، بالتالي يحاول أن يخرج اللاشعور كل المكبوتات، وبما أنها لم تخرج في الأحلام، فقد أصبحت تخرج في الواقع الحقيقي دون أن تسيطر عليها، فهي لم تستطع السيطرة على النفسية المحملة لديها بالتدمير للغير، لذلك أصبح الشر يخرج من أعماق قلبها، ينتاب نادية الشخصية المحورية في الرواية (عقاب النفس). حتى من عنوان

[٣٥] سيغموند فرويد، تفسير الأحلام، ص٥٢٠.
[٣٦] سيغموند فرويد، الموجز في التحليل النفسي، ص١٣٩

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الرواية "لا أنام" ونجد أن عدم النوم كان ناتجا عن الإحساس اللاشعوري بالذنب الشديد من كثرة الشر الذي كان يلاحق نفسها وتخرجه على الآخرين عندما كانت لا تستطيع التحمل من الغيرة والحقد الناشئين بداخلها، فهي كما قالت: إنها الخير والشر. ولعل في كل ما يحمل تصرفاتها الباطنة بأكملها شر بالرغم من وجها البريء الذي يوحي بالخير، فهي كانت دائمًا في صراع نفسي مع ذاتها، خاصة عند ظهور منافس لها في حب أبيها الذي كان لها كل شيء، فالصراع النفسي بدأ يشتد بين حبها لأبيها وحقدها الذي كان يملأ صدرها كلما رأت السعادة تحوم حولهما، بين أبيها وزوجته، ولكن في النهاية انتصر هذا الشر الذي كان بداخلها لتبدأ "نادية" توهم الأب بخيانة زوجته "طنط صافي" مع عمها "عزيز" حتى يُطلقها الأب ويطردها من منزله، وبذلك تستطيع أن تكون سيدة المنزل مرة أخر، وتسترد حب أبيها، قبل زواجه من " طنط" صافي"، ومن بعد نجاح الخطة وإزاحة صافي من أمام طريق أبيها، وفي ظل تنفيذ الخطة يبدأ الإحساس اللاشعوري بالذنب يأخذ مجراه على النفس المهلكة لصاحبها وللغير، وتبدأ تشعر بالندم الشديد وتأنيب الضمير، وتقوم في محاولات منها للاعتراف لأبيها بخطتها لعلها ترتاح من هذا العذاب المتمثل في ضميرها، وتصلح ما أفسدته لكن يكون قد فات الأوان، وتجد أن أبيها طلق زوجته "طنط صافي" وطردها من البيت، وظلت "نادية" لا تستطيع النوم؛ فهل كان حرمانها من النوم متأتيا من قبل الأنا الأعلى؟

يقول مصطفى محمود عن إيذاء الآخرين، إن من يعيش في سلام مع نفسه فهو يعيش دائمًا في سلام مع الآخرين، إنه لا يستطيع الكره، وإنما تولد هذه الكراهية للآخرين حينما تولد الكراهية للنفس، فالمجرم هو دائمًا إنسان ينزف من الداخل، إن الإنسان يشعر بالزهر يبتسم، حينما يرى ابتسامته الداخلية منعكسه عليه، أي عندما يرى الدنيا حلوة، فهو يرى نفسه حلوة، أي الإنسان يرى نظرة من حوله من خلال نظرته لنفسه، فهو يرة صورة نفسه كما تعكسها له الدنيا، ذلك الإحساس يأتي من مكان ما ليغمر روحه بالسعادة وإيمانه العميق، أما الإنسان الحقود فهو الإنسان المعتقل من الداخل، سجين قفصه الصدري، لا يستطيع أن يمد يديه إلى أحد، لأن يديه مغلولتان، وشرايينه مسدودة، وقلبه يطفح بالغل، وحقيقة ما يفعله الإنسان يدل على شعوره الداخلي بنفسه ومن ثم بالآخرين، فنحن أعداء أنفسنا قبل أن نكون أعداء ممن حولنا، فالمحبة تبدأ بتلك الحالة من السكينة الداخلية التي يبلغها الإنسان، واللقاء مع النفس ليس بالأمر الهين ولكنه شاق، والوفاق مع النفس أشق وأصعب.[٣٧] وحقيقة نادية نجدها أنها تنزف من الداخل لا ترتاح أبدًا، لا ترتاح في وقت خطتها الخبيثة لتنفيذ أي جُرم تقوم به، ولا ترتاح عندما تنتهي منها ولكن نجدها تلوم نفسها على ما تفعله أنها بالفعل لديها نفس لا تتحملها، ولا تحبها، ولا تلوم هذه النفس المليئة بالشر دائمًا.

[٣٧] ينظر، د. مصطفى محمود، الشيطان يحكم، دار المعارف، الطبعة السادسة، ص٣٠:٢٧

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

فكانت نادية تحطم ضحاياها وتصل لمبتغاها بوسيلة إثارة الشك في داخلهم وأنفسهم وتدمر قلوبهم، دون رحمة وبتلذذ في داخلها، وعندما وصل الأمر لأبيها الذي تحبه كثيرًا اعتقدت أن أبيها ملكًا لها بمفردها وتشاركه فيها زوجة أبيها التي هي بمثابة الأم، فقررت إثارة الشكوك مستخدمة في خطتها عمها دون أن يعلم فكان بالأخير ضحية لها، وأصبحت الأسرة بأكملها ضحية لشرها، بغرض إزاحة زوجة أبيها من أمامها معتقدة في ذلك أن سيصبح البيت مرة أخرى لها، وأبيها وعمها، فهي لم تقتلها مباشرة، ولكن هذا دائمًا ما نجده في الجنس الأنثوي، فهو لا يحارب مباشرة ولكن يستخدم حيله ليقع بفريسته، وهذا ما حدث مع الشخصية الأصلية في إليكترا. ونجد بداية بوادر لهذه الشخصية: **" لم يكن في حياتي إنسان إلا أبي.. ولم يكن في قلبي إلا أبي"...** [٣٨]

"فإن حبي العظيم لأبي هذا الحب الذي كان كل حياتي، لم يستطع أن يملأ فراغا كبيرا تركته وحدتي معه.. كنت أحبه إلى حد أني لا أستطيع أن أشكو له.. كنت أعتبر نفسي مسئولة عن سعادته إلى حد أني لم أكن أجرؤ على أن أعكر هذه السعادة بشكواي.." [٣٩]

وعقدة أوديب الأنثوية أو "ظاهرة إليكترا" ليست أسطورة، فالإنسان يعيش تزامن الأحداث في حياته، وهي في الوقت ليست واقعًا، لأننا لم نر حتى الآن أحداثًا، تكرس هذا الواقع؛ بل هي قدر، لا بد أن يصيب كل من يصبح إنسانًا. العقدة الأوديبية الذكورية والأنثوية هي مسيرة لا واعية (لاشعورية) تصيب الإنسان على غير علم منه. هي إذا مسيرة تكون تنظيمًا لمسيرة الرغبة التي تتحرك في منحاها القدري، يمر بها، ويطوي صفحتها لكي يولد آخر يختلف تمامًا عما كان عليه في المرحلة الأوديبية، لها بدايتها ونهايتها. أهمية التحليل النفسي ترجع إلى أنه كشف عن وجود هذه العقدة في اللاوعي (اللاشعور)، فأي خلل يطالها في تطورها لا بد أن يترك أثرًا دائمًا كالعصاب أو الانحراف. والتحليل كان يهدف منذ نشوئه إلى إعادة تصحيح هذا الخلل عبر عملية التحليل النفسي، وهذا كان محور اكتشافات فرويد في المرحلة الأولى[٤٠]

عقدة أوديب هي مجموعة من الرغبات والمشاعر والأفكار اللاشعورية التي تقوم على أساس الرغبة في امتلاك الوالد أو الوالدة من الجنس المقابل كالأم (بالنسبة للولد الذكر) أو الأب (بالنسبة للبنت الأنثى) وفي نفس الوقت إزالة الوالد أو الوالدة من نفس الجنس، ويتم حل هذه العقد كلية بعد ذلك عندما تتم الوالد الجنس المقابل من خلال علاقة

---

[٣٨] إحسان عبد القدوس، رواية لا انام، ص٤٦.

[٣٩] المصدر السابق، ص٥١.

[٤٠] البروفسور، عدنان حب الله، التحليل النفسي للرجولة المرجع السابق، ص١٧.والأنوثة من فرويد إلى لاكان، بإشراف المركز العربي للأبحاث النفسية والتحليلية، ص١٢٦

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

جنسية ناضجة مع شخص راشد من الجنس المقابل[٤١]

وجاءت فكرة تلك العقدة أساسًا من فرويد الذي استوحاها من عقدة أوديب ثم وسّع أفكاره وطوّرها. ومع أنّ فرويد جاء بفكرة العقدة، إلّا أنّ الذي أطلق عليها هذه التسمية هو كارل يونغ عام ١٩١٣. رفض فرويد في واقع الأمر التسمية التي أطلقها يونغ صراحةً، لأنّها - على حدِ تعبيره - " تسعى لتوطيد فكرة التشابه بين سلوك كلا الجنسين". لذلك، كان فرويد يستخدم في جميع كتاباته تعبير "عقدة أوديب الأنثوية" وهو يقابل عقدة أوديب لدى الذكر ".. وعلى الرغم من أن فرويد استوحى النظرية من الأسطورة اليونانية التي تدعى إليكترا إلا أنه كان رافض أن تسمى العقدة إليكترا ولكن كان يفضل تسميتها عقدة أوديب الأنثوية المقابلة لعقدة أوديب الذكر لأن السلوك واحد بين الذكر والأنثى كلًا منهما متعلق بالطرف الآخر (المُحرَّم) لقد كانت عقدة أوديب الذكر خاصة بالتعلق اللاوعي بالأم ويغير عليها من الأب وهذه العقدة مستوحاة اسمها من أسطورة أوديب.

دحض فرويد مفهوم يونج عن مجمع إليكترا في عام ١٩١٣، واستبدله بمصطلح خاص به، وهو مجمع أوديب الأنثوي. ويشير مجمع إليكترا في أبسط مستوياته إلى أن هذه الظاهرة تحدث للفتيات، وتتبدى في انجذاب الفتاة الصغيرة إلى والدها وعدائها تجاه والدتها، التي تعتبرها الآن منافسة لها. وأيضًا ذهب البعض في رغبة الفتاة في امتلاك والدها مرتبطة برغبتها في امتلاك القضيب، وغالبًا ما يوصف مجمع إليكترا بأنه حسد القضيب[٤٢].

"وأحسست – لأول مرة – إن أبي لا يريدني بجانبه..وأنه يريد أن يتخلص مني ويزيحني من أمامه..

وأحسست كأن شيئا في صدري يبكي ويمزق نفسه، وأن قشعريرة باردة تدب في أعصابي، وإن جلدي "ينكرمش" فوق عظامي، وكنت اريد أن أثور.. أن أحطم شيئًا.. أن أهجم على أبي وأهزه من كتفيه لينتبه إلى وجودي.. ليذكرني.. إني كل شيء في حياته"[٤٣]

كأن هاتفا في نفسي كان يحاول أن يحميني من مجهول سيدخل إلى أثناء نومي، ويشدني في فراشي، ويلقى بي في النار.. نار الحقد ونار الإحساس بالتفاهة.. [٤٤]

لنجد أن التعلق بأبيها بدأ يأخذ الشكل المرضي لها: **"وعيناي معلقتان بأبي كأنه**

---

[٤١] د. شاكر عبد الحميد، الأسس النفسية للإبداع الأدبي (في القصة القصيرة)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٩٢، ص ٥٠

[42] **Electra After Freud: Myth and Culture By Jill Scott. Page (8) /**

[٤٣] إحسان عبد القدوس، رواية لا أنام، مصدر سابق، ص٦٩.

[٤٤] المصدر السابق، ص٧٠

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

رجلي الوحيد... لا أريد أن يأخذني منه أحد، أو يأخذه مني أحد!![٤٥]

وقد ناقش إحسان قضية نمط علاقة الوالدين بالأبناء والخلل الذي يصاحب الابنة في ذلك وخطورة الموقف بأن نجد شذوذا لدى الابنة عما يثور بداخلها تجاه أبيها " سنجد بالفعل أن علاقة الأب والابنة علاقة قوية، ولكن اتجهت لمدلول آخر من جانب الفتاة من خلال ذلك:**" وقد وهب أبي حياته كلها لي.. كان يشرف على كل دقيقة من عمري.. كان يراقب بنفسه مواعيد تناولي الطعام ثم يجلس معي إلى أن أفرغ منه، وكان يدخل بي إلى الحمام ويغسلني بيديه، وكان يشتري لي ثيابي، ويقيم الليل بجانب فراشي إذا مرضت، ويقرأ دائمًا كتب الأطفال ليروي لي منها القصص، ويقرأ كتب التربية والطب ليتعلم كيف يربيني وكيف يعتني بي، ولم يكن يكتفي أبدًا بالمربيات الأجنبيات اللاتي يستأجرن بل كانت كل منهن لا تحتمل ولا تطيق شدة اهتمامه بي فتهجر**، وقد تعكس نص هذه الروايات أن البطلة لم تتجاوز عقدة إليكترا، ما أشار إليه فرويد في التحليل النفسي، فنجد (نادية) في رواية (لا أنام) البنت المراهقة المتعلقة بأبيها، والتي تعاني من عقدة إليكترا كما يسمّيها كارل يونغ، أو عقدة أوديب الأنثوية كما يسمّيها فرويد، يتضح ذلك من الرواية " **فهي كانت تخاطب نفسها أصبحت كأني على موعد معهما .. بل أصبحت أضيق وأتململ كلما تأخرا في دخول غرفتهما وأكاد أهم بأن استحثهما على خلوتهما لأقول بلا وعي لهما: (مش حتقوموا تناموا بأه؟!؟!..)**، وهي مدركة تمامًا، ما تفعله سائلة نفسها هل هذا شذوذ عندما أقف على باب الشرفة وأطلق أذنيّ إلى الغرفة المجاورة لأسترق السمع.. فلا أسمع شيئًا.. إلا أنفاسًا منتظمة لاثنين غارقين في نوم هادئ عميق.. فكنت أصاب بخيبة أمل كنت أحس كأن حبيبي قد أخلف موعده.. أحس كأني سأنام جائعة بلا عشاء!! فرغبة امتلاك الأب عند "نادية" ناتجة عن حبها الشديد لأبيها، ولكن تطور هذا الحب ودخل في إطار الحب الأوديبي الأنثوي، ما يعرف بعقدة إليكترا Complex Electra وهي رغبتها في إقامة علاقة شبقية/ جسدية مع أبيها، وهو ما يتضح في تخيل نادية لعلاقة جسدية بينها وبين أبيها، لتقول **"لقد حدث ما هو أكثر شذوذ.. فإن خيالي الذي يثيره هذا الهمس المنبعث في غرفة نوم أبي وزوجته، بدأ يتطور حتى أصبح ينهك جسمي العف الطاهر.. وأصبحت أتصور نفسي في كل مساء في أحضان رجل! هذا الرجل.. هو أبي!!**[٤٦]

لتأكد لنا الراوية عن شعورها تجاه أبيها وهي تقول: **" نعم.. كنت أتصور نفسي في أحضان أبي.. ذراعاه حول جسدي، وأنفاسه تصهر وجهي، وأسمع منه نفس الهمسات**

[٤٥] المصدر السابق، ص٧٩.

[٤٦] إحسان عبد القدوس – رواية لا أنام ص ٨٣

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

التي يهمس بها لزوجته.. وأهمس في أذنه نفس الكلمات التي تهمس بها"[٤٧]. وفي ظل هذه الأحداث جعلها تبحث عن بديل يريحها من هذا العذاب النفسي حيث تحاول توجيه الدوافع الجنسية لها من أبيها، لشخص آخر ليكون أكثر أمانا وأقل تهديدا، حيث يكون الدافع الجنسي لها لشخص ما وليس الأب ليكون مقبولا، ليكون حب نادية لشخص آخر ما هو إلا إزاحة من أبيها، وتسامي لشخص آخر وهو مصطفى. أي أبدلت هذا التصور بوسيلة آلية من آليات الدفاع لدى رغباتها حتى تُحقق رغباتها بآلية مقبولة اجتماعيًا، حيث إن أبدلتها بعلاقتها بمصطفى وأصبحت تتخيله بدلًا من أبيها لتشبع رغبتها الجسدية التي تظل مدفونة بداخلها. حيث أقامت علاقة عاطفية لإشباع متعتها الجسدية؛ وإذا وجدنا مصطفى سنجد أنه لم يكن شاب قريب من سنها، ولكن عندما حاولت أن تتجه لعلاقة أخرى اتجهت لشخص قريب من سن والدها، لتعوض هذا الجانب الناقص في حياتها من اتجاه أبيها، التي تراه مع زوجته ولم تستطع هي أن تكون مكانها، بل كانت تقارن نفسها بينها وبين زوجة أبيها فهي لم تكن تحمل في داخلها إلا الحسد والحقد والشر، وتقول في داخلها من مقارنتها عن زوجة أبيها عندما قابلت مصطفى التي قررت أن تبدله مكان أبيها ليكون الأمر مقبولا وطبيعيًا.

" أحسست أننا أصبحنا متساويتين.. هي لها رجل، وأنا لي رجل"[٤٨]

ونجد هنا المونولوج الداخلي للراوية وهي تتحدث مع نفسها لتقنع نفسها بالذهاب إلى شقة مصطفى ومقارنتها بزوجة أبيها: **" لقد أصبح لكِ رجل.. كما أن لزوجة أبيك رجلا"**[٤٩]، لقد حل مصطفى البديل عن غريزة التدمير لديها، بل عن العالم لها كان مثل المسكن المؤقت لها من أفعالها الشريرة: لتوضح لنا الراوية هذا وهي تقول **" كان حبي لمصطفى هو دوائي من شري وحقدي.. " وكان حبي لمصطفى يعينني على كل ذلك.. كنت أقول لنفسي دائمًا**: لتتحدث مع نفسها دائمًا كالمونولوج الداخلي، لتثبت لنفسها أنها لم تكن لوحدها بعد أن دخلت زوجة أبيها التي شعرت منذ ذلك الحين أنها بمفردها وأن العين على زوجة أبيها وأنها أفضل منها، بل أخذت منها كل شيء أمور البيت والأب الذي كان لها العالم بأكمله، واهتمام العم، لقد أصبحت تشاركها كل شيء، وحاولت أن تبحث عن البديل شيئًا فشيئًا حتى وجدت مصطفى تكتفي به عن العالم **" لقد أصبح لي رجل يغنيني عن أبي وعمي، وأصبح لي بيت غير هذا البيت.. رجل هو مصطفى.. وبيت هو البيت الذي ألتقي فيه مصطفى.."، وما أن لبثت نادية في استقرارها من**

---

[٤٧] المصدر السابق، ص٨٦.

[٤٨] إحسان عبد القدوس، رواية لا أنام، ص١١٥

[٤٩] المصدر السابق، ص١٢٠.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الغش والحقد تجاه زوجة أبيها،[٥٠] حتى ذات يوم قابل مصطفى عائلة نادية، وتحدث مع زوجة أبيها، ليندلع إليها الشر مرة أخرى، وتصف لنا الراوية إحساسها، عندما كان مصطفى يتحدث مع زوجة أبيها: **"وأحسست بالنار تندلع في دمي.. احسست كأني أريد ان أهجم عليها- على زوجة أبي- وأشدها من شعرها وألقى بها على الأرض"**[٥١].

ومنذ ذلك الحفل الذي جمع مصطفى بعائلتها ورأت مصطفى وهو مع زوجة أبيها وشعرت بالنار في داخلها تلتهما وبضعف شخصيتها أمامها، عند ذهابها للبيت ودخولها غرفتها حدث ما حوّل حياتها إلى عذاب وتخطيط للجريمة **"ونزعت ثيابي دون أن أغسل وجهي كعادتي كل مساء.. ولم أنم.. وبدأ الشر يرتفع من قلبي ويزحف إلى رأسي لينسج خيوط جريمة"..**

"كنت قد تملكني رغبة طاغية في الهدم.. هدم كل شيء.. هدم زوجة أبي، وهدم أبي، وهدم مصطفى، وهدم نفسي.. كنت أفكر كالمجنونة، أحاول أن أحطم بيدي كل من حولي بلا سبب معقول إلا التفريج عن إحساسي بالنقص وإحساسي بشخصيتي الضعيفة التي عجزت عن اجتذاب مصطفى من زوجة أبي خلال الحفل" [٥٢].

وحاولت كثيرًا أن أطرد من رأسي هذه الأفكار السوداء، حاولت أن أمنع الجريمة قبل وقوعها ولكن أثناء تنفيذ أي جريمة لها يبدأ العذاب **وهذا العذاب لا يمكن أن ينتهي إلى شئ.. لا يمكن أن يدفعني إلى العدول عن جريمتي أو التفكير بها"** ثم أن حدث موقف ما يشعل هذه النيران لقد حاولت نادية أن تلعب مع زوجة أبيها لتخبرها أنها على علاقة حب بشخص، ولكن سرعان ما هربت من أمامها ولم تعطيها الاهتمام الذي اعتقدت أنها من الممكن أن تحتويها، ومن هذا بدأت نيران شرها وحقدها تلتهم خيال نادية لتخرج بالجرائم، مع شعورها بالانتصار دون رجعة فيها مهما حاولت من مقاومات لردع تدمير ضحيتها، ولكن هذا دون رجعة ولنجد بالمونولوج غير المباشر لها، وهي تتحدث مع نفسها، **وسمعت الشيطان يسكب في صدري سما، يردد:" احذري، احذريها.. أنها تستطيع أن تأخذ منك مصطفى كما أخذت منك أباك.. إنها إمرأة قادرة.. فيها كل ما يغري الرجال.. ثم إنها امرأة.. امرأة.. أما أنت يا مسكينة فعذراء.. مجرد عذراء"!!**[٥٣]

أصبح مصطفى لا يملأ رغبة نادية عندما دافع عنها أمام نادية ومدح فيها وقال إنها: "ست محترمة واللي يعرفها لازم يحترمها" وبدأت نادية تخطط لجريمتها التي هدمت بها كل شئ، وكانت هذه العلاقة مؤقتة لم تبث الهدوء والاستقرار في نفسها القلقة،

---

[٥٠] المصدر السابق، ص١٧٣.
[٥١] المصدر السابق، ص١٨
[٥٢] إحسان عبد القدوس، رواية لا أنام، ص١٩٠.
[٥٣] المصدر السابق، ص١٩٢

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

وانصرفت هذه العلاقة عنها دون أي شعور بالندم، ولكنها كانت تأخذ من هذه العلاقة كل ما تحتاجه النفس لتسكن وتغرب عنها الأفكار والوساوس المليئة بالشر، لتنسى كل ما يحيط بها لتنسى الأهل والشر والحقد ولتستمتع بنفسها وبأنوثتها بدلا من استمتاعها بالشر الذي في صدرها وبتدمير من حولها، لتحاول أن تستغيث من شرها بأنوثتها مع شخص آخر تحبه، وتعطي لنفسها جرعة أكثر، ويتضح ذلك من خلال الراوية وهي تقول: **"أن أقدم على مغامرة طائشة تنسيني نفسي"**[٥٤].

وهذه المغامرة بالنسبة لها ما كانت إلا التجأها لمصطفى، فقد غامرت بكل ما فيها بجسدها وقلبها لعل عقلها يريح من تدبير المؤامرات الخبيثة والتخطيط والتدمير، ولكن هذا كان مؤقتًا، أي مسكنًا، حتى اشتعلت بداخلها نيران الحقد في أوج وهجتها، ولم تندلع هذه النيران أمام نفسها وأمام من تحبهم وأكثرهم أبيها، فقد التهمت هذه النيران الجميع بداية من نفسها، وأصبحت تعاقب جسدها، وراحتها، وعقلها، وقلبها.

سنجد نادية في هذا الوقت تحاول أن تعيش بخيالها الأحداث وتقنع نفسها بهذا الخيال حتى تخرج منه بالحقيقة التي تريدها لتقنع من حولها وتنفذ خطتها، كانت تتخيل وتعيش الخيال كأنه واقع رغم أنه ليس له أساس من الصحة، كان هذا الوقت يغلب عليها شرها وحقدها وتثور في أهدابها ثورة من الحقد على الشخصية عندما تشعر بقوة شخصية زوجة أبيها، بدأت الخطة التي هدمت بها طنط صافي عندما قابلت حبيبها في الحفلة مع أهلها، وظل يتحدثان بالرغم أنها كانت محادثة عادية وأمام الجميع، إلا أن نادية أحست بعدم الثقة وشخصيتها ضعيفة أمام شخصية زوجة أبيها، وبدأت مقارنتها بنفسها وكم هي قوية الشخصية، سرعان ما لبثت نار الغيرة والحقد منها، وشعرت أنها أخذت منها كل شيء بل لم تهدأ تريد أن تأخذ حبيبها منها لقد عوضت نفسها من قبل عن أبيها بهذا الرجل، وبدأت تنفيذ الخطة، من نار الحقد التي بداخلها واشتعلت هذه النيران عندما سمعت من مصطفى وهو يمدح فيها، لم تفكر في شيء إلا في تدميرها، وكانت تشبع فكرها بهذه الخطة، فالخطة لم تكن سهلة، وكما وضحت الراوية أنها **"خطة طويلة الأجل"**، وبدأت تعيش في خيال هذه الخطة وتقنع نفسها، وتصف الراوية في مذكرتها لإحسان، كيف تعيش هذه الخطة، وتقول: **" وكان يجب أن أقنع نفسي بهذا الخيال حتى أنسج منه حقيقة بالجرأة على ارتكاب جريمتي.. كانت تعامل كل الرجال في مستوى واحد.. كلهم تجذبهم بشخصيتها القوية الحلوة، وكلهم يلتفون حولها أينما ذهبت..."**[٥٥]

فكانت دائمًا ترى أن شخصية صافي قوية وتحسدها على ذلك أو تحقد عليها، فأصبحت تخطف منها تلك الشخصية القوية ثقتها في نفسها بطريق غير مباشر، بأثر جريمتها التي لا يعلم عنها أحد وكانت ضحيتها أبيها وزوجته وعمها فالكل دفع الثمن،

[٥٤] المصدر السابق، ص٢٤٩.
[٥٥] إحسان عبد القدوس، رواية لا أنام، ص٢١٦

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

أصبحوا أجسادا روحهم تتألم، كانوا ضحايا لطفلة مراهقة لم تتعدى من عمرها العشرين، زرعت الشك في أبيها بكل سهولة وأصبح يرسم تصرفات زوجته وأخيه التلقائية إلى خيط من خيانتهما له، لتوصف لنا الراوية عن حال زوجة أبيها بعد أن أصبح زوجها يعاملها بطريقة على غير العادة بل أصبح عصبي، ولا تعلم السبب: **"كانت تبتسم ابتسامة ضعيفة كأنها تحاول أن تدافع بها عن سعادتها، وكانت في عينيها حيرة وتردد كأنها لا تدري ماذا تفعل أو ماذا تقول.. لقد بدأت الشخصية القوية الجذابة تنهار.. وتنهار أمامي، وأمام جريمتي"**[٥٦]

فشخصية نادية لم تكن تدبر الخطط هوجائيًا، وإن كانت خطة طفولية ساذجة صدقها الأب، لأن نظر لابنته نظرة صدق، وتعاطف مع معانتها التي تحملها بين صدرها ويصعب عليها هذا الرجل الذي يعيش الخيانة من أقرب الناس له، لقد بحثت عن النقص في شخصية أبيها، لتكمله بشخصية تجعل الضحية مقتنعة إلى الحد التي تصدقها، وتعطي مبررا للزوجة بالخيانة، وتقول لنا الراوية، وهي تتحدث مع نفسها: **" إن شخصيته تكمل نقصا كبيرا في شخصية أبين فلماذا لا تجمع بينهما حنتي يكتمل لها من كليهما كل ما تحبه المرأة في الرجال.. الجد والمرح، والنظام " والهرجلة"، والاستقرار والقلق.. إلى آخر الصفات المتناقضة!**[٥٧]

" وكان على بعد ذلك أن أقنع أبي بما اقتنعت به نفسي.. كان على أن أقنعه بأن زوجته تخونه مع أخيه!!

كانت هذه خطتي.. ولم أكن أتصور لهذه الجريمة من نتائج.. إلا نتيجة واحدة، هي أن تخرج طنط صفية من البيت.. أن يطلقها أبي.. أن يعزلها عن العرش، وأعود أنا أتربع عليه.. على عرش البيت وعرش مصطفى وعرش قلوب كل أقاربنا وأصدقائنا.. ولكن كيف أقنع أبي؟"[٥٨]

كان طيب القلب، ولا يدع الشك يثور في نفسه، قوي الأخلاق لا يسئ لأحد، ولا يغار، ولا يسئ الظن أبدًا.

ودائمًا نجدها في وقت تنفيذ أي خطة تحاول أن تعدل عن فكرة التدمير التي أشبعت بها روحها وكيانها موضحة في هذا:" **وبدأت أفكر في أعدل عن كل هذا وأستريح.. أن أعود إلى غرفة المكتب وأمزق الورقة التي كتبه، ثم ألقى بنفسي فوق فراشي لعل قلبي يهدأ، ولعل الشيطان المجنون يكف عن ضرباته فوق صدري، ولعل أنفاسي تنتظم،**

---

[٥٦] المصدر السابق، ص٢٤٨.

[٥٧] ا إحسان عبد القدوس، رواية لا أنام، ص٢١٦

[٥٨] المصدر السابق، ٢٢٠،٢٢١.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

ولعلني بعد ذبلك.. أنام!![٥٩]

أحسست أن أريد أن أهرع إليه، وألقي بنفسي تحت أقدامه، وأعترف له.. وأتوسل غليه ألا يصدقني، وألا يصدق هذا الخطاب الذي قرأه، وان يعود كما كان...

لم تستطع كل هذه الأحاسيس التي كنت أحس بها فعلا أن تنقذني من جريمتي، أو تدفعني إلى إنقاذ أبي وزوجة أبي، وإنقاذ البيت كله..

"كنت كأني أحمل في ذاتي شخصين.. شخصًا يحس ويتعذب تحت سياط الضمير.. وشخصًا آخر لا يحس.. ولا يتعذب، إنما هو مجرم عاق يقف باردا.. جامدا.."[٦٠]

"كنت ساعتها أعاني صراعا عنيفا بيت الشخصيتين اللتين تعيشان بين جنبي.. شخصية الإنسانة التي تحس الجريمة وتتعذب لها حتى يكاد العذاب يمزقها.. وشخصية الإنسانة الأخرى التي ترتكب الجريمة في هدوء وبرود وأعصاب ثابتة دون أن تتأثر أو يهتز لها رمش.. هذا الصراع الذي عانيته.. وكنت ضحيته طول حياتي.."[٦١] **"كانت الروح الشريرة مسيطرة على وتتحكم في كل تصرفاتي. الروح التي تسكن جسدي، وتعذبني وتعذب كل من يقترب مني او يلمسني.."**[٦٢].

عندما شعرت أن الخطة بدأت تنجح أحست بفرحة خبيثة أن أبيها عاد لها وحدها، بالرغم أنه عاد محطمًا، رأته متهالكا من أثر الصدمة التي ظن فيها أن زوجته تخونه، فكانت بكل عقلها تحاول أن تنقذ خطتها، حتى لا ينكشف أمرها، وعندما قرر الأب السفر فجأة للعزبة أرادت أن تنقل له الوساوس وتلحق بالشك في زوجته " **وبدأ ذهني ينشط.. بدأت أشعر أن في رأسي شيئًا أسود يتحرك ويزحف كالحية السامة عندما تشعر بالدفء"**[٦٣]، وأصبح ما بداخلها بداخل الجميع، بل أصبح البيت مثل قلبها مفعم بالغيرة والتوتر والحقد والكراهية، لقد زرعت أصحاب البيت بالشك، لتحصد ما تزرعه وتظهر نتائجه على البيت بأكمله لتوضح لنا الراوية عما أصاب البيت بعدما شعلت البيت بجريمة تحملها سواد قلبها، فلم يكن وصفها واقفًا عند نفسها، بل دائمًا ما قد تصف الراوية الأحداث التي تدور من حولها، وكأنها تُراقب نتيجة جريمتها، وتصف البيت التي تعيش فيه، وتقول الراوية "نادية": **"وامتلأ البيت كله بالشك الأسود، والغيرة الصفراء، والحقد والكراهية، والتوتر والأرق.. أصحابنا جميعنا نعيش على أعصابنا، وأعصاب تالفة منهكة.. كنا كالمجانين.. كجماعة تاهت في صحراء مظلمة وأخذ بعضها يتخبط**

---

[٥٩] المصدر السابق، ص٢٢٩

[٦٠] إحسان عبد القدوس، رواية لا أنام، ص٢٣١، ٢٣٢

[٦١] إحسان عبد القدوس، رواية لا أنام، ص٢٧٢،٢٧١.

[٦٢] المصدر السابق، ص٢٨٢

[٦٣] المصدر السابق، ص٦٠

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

في البعض بحثا عن النور.. عن الخلاص!"[٦٤].

المقاومة النفسية التي تحل بها في تنفيذ أي خطة لها مليئة بالشر، ولكن سرعان ما تتغلب الأهواء على هذه المقاومة، عندما تجد السعادة مليئة البيت بأكمله من أبيها الذي كان مرحا سعيدا، وزوجة أبيها التي يتجدد شبابها كل يوم، وكانت تضيق بهذه السعادة، ومن هذه السعادة عاد إليها الشعور مرة أخرى شعور الحقد الشر، لتعرفنا الراوية عن وصف الشخصية المتمثلة في نفسها: **"وبدأت أبخرة الشر تملأ صدري وتتصاعد إلى رأسي.. بخار يتصاعد من بوتقة ساحر يعد السم الأسود!!**[٦٥]

لتبدأ المقاومة النفسية بين حبها لأبيها وحقدها على زوجة أبيها، لتقول: **وقد كنت أحب أبي.. أحبه إلى حد أن أقتل نفسي قبل أن أقدم على إيذائه.. وقامت في نفسي معركة عنيفة بين هذا الحب –حبي لأبي – وبين الحقد على زوجته... كان حبي ينتصر دائما على حقدي.. كنت أخنق الخطط السوداء التي تطوف برأسي قبل أن أقدم على تنفيذها..**

وكنت أنا وحدي الضحية.. أنا التي يعتصرها الحقد حتى يكاد الدم يجف في عروقي.. وأنا التي يأكلها الشر حتى يكاد لا يترك مني إلا عظاما.. وأنا التي لا تنام حتى لم تعد جفوني تسقط فوق عيني إلا أعياء[٦٦]

ونجد في الجزء الثاني من الرواية، عندما تنتهي من جرائمها وخراب البيت بين أبيها وزوجته تعيد مرة أخرى وهي تكتب لإحسان التساؤلات التي سألتها في بداية الخطاب متسائلة بكل يأس عن سبب جرمها، و لماذا تتعذب بهذا الجُرم لتقول: **"إني أتساءل مرة ثانية... ما الذي يدفع الطفل إلى تحطيم الدمية، ثم ما الذي يدفعه إلى البكاء بعد أن يحطمها!.. وما هو الإنسان؟ وأنا.. وما أنا؟ ولماذا ولدت لهذا الأب.. ولماذا وجدت في هذا البيت.. ولماذا حطمت الدمية الجميلة.. ولماذا أبكي بعد أن حطمتها؟! ليقل علماء النفس كل ما عندهم. ليبحثوا في النفس البشرية ويكتبوا عشرات الكتب.. ولكن أنا. ما ذنبي؟!.....**[٦٧]

فهي تبحث عن سبب جرمها وتبحث لماذا هي بكل هذا الشر؟! ولماذا تتعذب!! وتبحث عن نفسيتها التي تعتقد أنها مريضة بالشر، وتريد أن تغبر عنها كل هذا وهي تكتب وتكمل حكايتها **لإحسان** الكاتب المشهور بغرض التحرر من جرائمها التي تحارب ضميرها متسائلة إن كانت هي خُلقت بالشر ولماذا هي بهذا الحجم من الشر، هل هو

---

[٦٤] المصدر السابق، ص٦١

[٦٥] المصدر السابق، ص٧٦.

[٦٦] إحسان عبد القدوس، رواية لا أنام،ص٧٧،٧٦.

[٦٧] المصدر السابق، ص٧٧.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

مرض نفسي يجعلها تخفق قلوب من حولها وتظهر لهم بهذه البراءة الخادعة.

وعند خروج طنط صافي من البيت ومرض نادية والعذاب التي تعرضت له لم تشعر بالراحة، بل كانت تشعر أنها وحيدة ومنزوية من الكل، لم يكن في شخصيتها قوة، بل كل الضعف، واستسلام للعذاب الذي كان يلاحقها، حتى رغبتها بالحب أصبحت تتلاشى ويتضح لنا من خلال حديثها مع نفسها، وهي تقول: **ولكني لم أعد أشعر بحاجتي إلى لقائه.. هذه الحاجة الملحة المجنونة التي كانت تدفعني إليه**.. وأصبحت شرارة الحقد تتصاعد مرة أخرى وأشعرت ببوادر الخفقان الذي يظهر عليها عندما تبدأ في جريمتها وكان هذا السبب في ذلك هو سفر محمود، ولكن لمَ هل أحبته؟ أم أنه حقدًا ونجد أن **عند سفر محمود للبعثة لديه أصبحت تشعر بذات الحقد ثانية لتمنعه من السفر لقد أحبت محمود، ولكن محمود لم يرد.. لم يصلني منه شيء.. وعلمت أن الله ينتقم مني.. الله الذي خلقني.. ينتقم مني!**[٦٨]

وبعدما حدث لها مع محمود وتحطمت مثلما تحطم الآخرين وكأن الجزاء من جنس العمل (داين تُدان)

ونجد في شخصية (نادية لطفي) أن الدوافع الخفية من وراء ما تعانيه هذه الشخصية عقدة نفسية من نشأة طفولتها ويتضح ذلك من خلال سلوكها، وأفعالها الشريرة المدمرة للآخرين؛ يلحظ أنها تُعاني من اضطرابات نفسية، تكمن في الأنانية، ورغبة حب التملك والتدمير عن طريق زرع الشك، والدافع لذلك هو واقعها الاجتماعي الذي نشأت فيه؛ والحياة التي فُرضت عليها وتكوينها النفسي، ويتمثل هذا الواقع الاجتماعي الذي عاشت فيه في الانفصال الأسري؛ حيث نشأت في ظل أسرة مفككة؛ في وقت مبكر، وهي لا تتجاوز العامين، حيث تقلص دور الأم في حياة الابنة[٦٩]، وهو ما تذكره "نادية" :**"لقد تفتح وعي وأمي مطلقة.. كانت قد طلقت وعمري لا يتجاوز العامين، وتزوجت من آخر، وتركتني لأبي"...**[٧٠] وهذا الطلاق المبكر للأم، جعلها تنشأ إلى كنف جانب واحد؛ وهو الأب دون الأم، ووصل هذا الجانب في حب ابنته الوحيدة إلى حد التدليل؛ وأدى ذلك إلى تعلق الفتاة بأبيها، وحبها له حبًا شديدًا، فتدليل الأب لابنته جعلها تعتقد أنه ينبغي أن يعيش لها وحدها، وهو بالفعل كان يقوم بدور الأب والأم معًا، فهي تعتقد أن ليس لامرأة أخرى الحق في أبيها، وكانت الأم مجرد صورة لها فهي أم سلبية لم تؤثر في حياة ابنتها بدور ايجابي؛ وهو ما فرض حاجزا نفسيًا في العلاقة بين نادية وأمها، وربما هذا النوع من التنشئة جعل "نادية" تكبت ما تشعر به من انفعالات

---

[٦٨] إحسان عبد القدوس، رواية لا أنام، ص٥٣٧.

[٦٩] شريف الجيار، روايات إحسان ذات الاتجاه النفسي ومصادرها الأجنبية، مرجع سابق، ص٤٦.

[٧٠] إحسان عبد القدوس – رواية لا أنام، ص٣٤.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

وأحاسيس، وما تفكر فيه من أفكار؛ لأنها لم تجد مَنْ تنفس معه وخصيصًا الأم، ربما كبت نفسيتها وعدم التنفيس عن الأفكار والانفعالات المكبوت، جعلها أكثر عرضة لتنفيس هذه الانفعالات غير سوية [٧١].

وإن تحدثنا عن انعدام الروابط الأسرية وعاملها على الشعور النفسي فنجد إنه عامل مهم في إدخال الفرد في دوامة التعب والشعور النفسي السلبي الذي يدخل الشخصية في أمراض ذهانيه وعصابية وأقلها نفسية وتبقى الشخصية غير سوية في معاملتها مع النفس أو الغير؛ لأنها تكون محملة بالعقد النفسية التي واجهتها نتيجة التفكك الأسري أو دور التربية وغياب أحد الآباء عن رعاية الطفل أو تحمله ووضعه في مكان غير المكان النفسي المخصص له، وتقول نادية: **" وكانت أمي تجئ لزيارتي..... كانت بصحبة زوجها كأنها زيارة رسمية أو في زيارة مجاملة وكانت تحس بجانبي فأحس أنها بعيدة عني... تبتسم فلا تنعكس ابتسامتها في قلبي.. وتتحدث فأشعر أنها تتحدث إلى إنسان غيري.. لم تكن تفهمني.. ولم تحاول أن تعلم حقيقتي لتفهمني..."** [٧٢]

والشيء المثير للاهتمام أن الأصل النظري لهذه العقدة، التي تشتق اسمها من شخصية أوديب الأسطورية، قد جاء من خلال مسرحيتين للكاتب الاغريقي الشهير "سوفوكليس" في هاتين المسرحتين قتل أوديب دون أن يعرف أباه ثم تزوج بعد ذلك أمه، ومن هذا توصل فرويد لذلك من خلال تحليله الذاتي لنفسه بعد وفاة والده، وفي البداية كان مصطلح "عقدة أوديب" يشير إلى عقدة الشخص الذكر تجاه والديه ومصطلح " عقدة إليكترا" إلى عقدة الأنثى تجاه والديها، أما اليوم فيستخدم مصطلح عقدة أوديب ليشير إلى هذه العقدة لدى الذكور والإناث، رغم أننا يجب أن نعرف أن خطايا إليكترا كانت من نوع يختلف عما فعله أوديب، فبدلًا من أن تقوم إليكترا بالقتل المباشر لوالدتها، فإنها ألحت على أخيها ودفعته للقيام بذلك[٧٣]، وهذا ما حدث في رواية لا أنام لم تقوم بالقتل المباشر ولكن كانت دائمًا تزرع الشك في أبيها بخيانة زوجته وهو ما دفعه لتطليقها وإزاحتها من طريقها وبالرغم من أنها كانت قد عقدت خطة محبكة إلا أنها شعرت بالعذاب النفسي وتأنيب الضمير

كما أننا سنجد في هذه الرواية أن غريزة التدمير شديدة القوة لدى نادية، فتدمير زوجة الأم لم تكن الضحية الأولى بالنسبة لها، فقد اعتادت على ذلك مذ صغرها، مما جعل منها بسهولة مجرمة أو مذنبة كما تقول لنفسها **"إنني مجرمة"**، ولكن جرائمي لا

---

[٧١] ينظر شريف الجيار، روايات إحسان ذات الاتجاه النفسي ومصادرها الأجنبية، مرجع سابق، ص٤٨،٤٧،٤٦.

[٧٢] إحسان عبد القدوس – رواية لا أنام، ص٣٠٦.

[٧٣] د. شاكر عبد الحميد، الأسس النفسية للإبداع الأدبي (في القصة القصيرة)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٩٢، ص ٥٠

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

يُعاقب عليها القانون، ولم تستطع العيش بدون هذه السمة فيها وكأن التدمير لديها أصبح وجبة، من الحين للآخر يتغذى بها الشعور الغريزي لديها ربما للنقص والتفكك الأسري التي عانت منه، فالشعور بالذنب هو حالة انفعالية خاصة Private Emotional State تتضمن مشاعر مؤلمة نابعة من ضمير الفرد نتيجة لارتكابه فعلًا أو حدثًا يتأسف عليه أسفًا عميقًا[٧٤]. وهو أيضًا شعور بالإثم مؤلم وغير مريح مرتبط بالخوف من جرح مشاعر الآخرين[٧٥].

وتعتبر هيلين بلوك لويس Helen Block Lewis من أكثر من اهتموا بمفهوم الشعور بالذنب ولها الفضل الأول في إيضاحه وإبرازه بوصفه مفهومًا مستقلًا عن المفاهيم النفسية الأخرى كالخزي، الذي يحكم فيه الشخص على نفسه، ففي الشعور بالذنب لا تعتبر الذات هدفًا أساسيًا للتقويم السلبي، حيث إن الفعل الذي ارتكبه الفرد هو مركز إثارة الشعور بالذنب، لذلك فإ ن التفسير الذاتي الذي يلحقه الفرد بالأحداث أو الأفعال التي ارتكبها هو مصدر الشعور بالذنب، وليس نظرة الفرد السلبية الدونية للذات في كل الجوانب، ونجد هذا في الشعور بالخزي والتي يدرك فيها الفرد بأنه شخص سيئ وأنه ارتكب فعلًا مُشينًا ولذلك فهو يلزم ذاته على الفعل الذي اقترفه أو يحكم على نفسه حكمًا ذاتيًا يؤدي إلى تغيير إدراكه لذاته، وبالتالي يشعر بأنه تافه وصغير وعديم الفائدة وعديم المقدرة[٧٦].

ويؤكد فونتينFontaine وزملاؤه، أن الشعور بالذنب من المشاعر السلبية التي يخبرها الفرد في حياته، ويرتبط هذا الشعور بشكل كبير بتقدير ذات منخفض، ويتضمن إحساسًا داخليًا بعدم الراحة والإهانة النفسية سواء أكان بسبب نظرة الفرد الدونية لذاته، أم بسبب بأنه سينكشف أمره وشعوره أن الآخرين ينظرون إليه نظرة سلبية[٧٧]. والشعور بالذنب guilt feeling هو ذلك الشعور الذي لا يكون ناجما أحيانًا عن اقتراف فعل يستوجب الشعور بالذنب حقيقة ويرى البعض أنه أمر فطري في الإنسان بسبب فطرية الغريزة العدوانية له، ومن الممكن أن يكون لدى الوسواس القهريين منه بالنسبة

---

[٧٤] دانيا الشبؤن، الشعور بالذنب وعلاقته بالشعور بالخزى عند المراهقين، مجلة جامعة دمشق، المجلد٢٧، ملحق ٢٠١١، ص٥٩، بدر محمد الأنصاري، بناء مقياس للذنب وعلاقته ببعض متغيرات الشخصية، مركز النشر العلمي، جامعة الكويت، ٢٠٠٠. ص٩٥

[75] Anca M. Maron, Nyla R. Branscomb, Michael T. Schmitt (2006): Collective Guilt as Distress over illegitimate intergroup inequality, Journal of Group processes& intergroup Relations,Vol99, SerialNo.2, pp 163 -180.

[٧٦] ينظر سيغموند فرويد، المرجع السابق، ص٨٨

[٧٧] ينظر المرجع السابق، ص٨٨

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

للهستيري[٧٨]، في الواقع، وفقًا لفرويد، تعمل مشاعر الذنب كعامل مثبط للشخصية. فهي لا تمنع فقط التعديات على المعايير الأخلاقية للفرد، ولكن أيضًا العديد من الجوانب الأخرى في حياته، بما في ذلك الجوانب الأكثر إنتاجية وإبداعًا. يخلق الشعور بالذنب "التخويف" في الشخص، مع تأثيرات أكثر خطورة على الأطفال، لأنه يتعارض مع فضولهم الطبيعي واهتمامهم البحثي. علاوة على ذلك، فإن الشعور بالذنب يخلق الحاجة إلى العقاب، والذي يميل إلى التحول إلى عقاب ذاتي ويمكن أن يؤدي بالفشل في العديد من الأنشطة اليومية - بما في ذلك الأنشطة المهنية - وفي بعض الظروف القصوى، إلى الانتحار نفسه. بالإضافة إلى ذلك، طالما أنها تشكل عاطفة غير سارة، فسيقوم الشخص بتنشيط العديد من آليات الدفاع ضدها (القمع، الإسقاط، تكوين رد الفعل، إلخ)، وبهذه الطريقة، تظهر مشاعر الذنب في العديد من الأشكال المختلفة، والتي غالبًا ما يصعب التعرف عليها: يمكن العثور عليها في ظل السلوك الأخلاقي الأكثر مرونة أو في السلوك الصارم للعصاب المهووس. يمكن أن تكون نتيجة وكذلك سبب السلوك الإجرامي، ويمكن العثور عليها في كل من متلازمات جنون العظمة وفي المتلازمات الهستيرية ... مشاعر الذنب موجودة في معظم الأمراض النفسية، وتتصرف إلى حد أكبر أو أقل عليها جميعًا، مع الأخذ في الاعتبار الآثار السلبية للشعور بالذنب على الفرد، يفرض فرويد الحاجة إلى مواجهة ديناميكيته المزعجة. من الضروري القضاء على الآثار السلبية للشعور بالذنب، والذي يكون غالبًا فاقدًا للوعي، وأحيانًا أخرى مفرطًا ومزعجًا بنفس القدر، حتى لو كان واعيًا. مع وضع هذا الهدف في الاعتبار، من الضروري مساعدة الشخص على التعرف على الصراع الأساسي والتوصل إلى تفاهم واعي معه في كلتا الحالتين (إزاحة الشعور بالذنب من شيء أو موقف كان الأصل مرتبطًا بآخر، وهو الأنا العليا الصارمة للغاية). ومن الضروري كذلك ـ وإن كان أيضًا أكثر صعوبة ـ محاولة استبدال مشاعر الذنب هذه، من خلال إعادة التأهيل العاطفي، بـ"حكم إدانة واعي" ، يُشار دائمًا إلى الخطأ الحقيقي ويتناسب معه.

يشير فرويد أيضًا إلى الحاجة إلى إجراء عمل وقائي. قد يتألف هذا من توجيه تربية الأطفال بشكل مناسب، والتخلي عن الإجراءات التعليمية القسرية للغاية واستبدالها بأساليب أخرى: الأساليب التي، دون ترك مسار مفتوح للإشباع العشوائي لدوافع الطفل، لن تسمح بتعزيز الأنا الفائقة و مشاعر الذنب. أشار العديد من المحللين النفسيين الآخرين إلى الآثار السلبية للشعور بالذنب. يصر فروم Fromm بشكل خاص على قوة الذنب «الاستبدادي» لحمل الشخص على الانصياع لأوامر القوة المتنوعة (الداخلية إلى حد ما). ويتم الخلط بين الذنب "الاستبدادي" والخوف من القوة - الخارجي أو الداخلي في

[٧٨] حسين عبد القادر، معجم علم النفس والتحليل النفسي، ص٢٠٥.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الوعي (كما نرى، يظهر هذا الشعور بالذنب أوجه تشابه قوية مع الشعور بالذنب الفرويدي). يكون الشخص الذي يشعر بهذا النوع من الذنب عرضة بشكل خاص للانصياع لمطالب القوة الواعية أو اللاواعية، من أجل الحصول على موافقتها وتهدئة مشاعر الذنب هذه. هو كائن تابع ويمكن التلاعب به بسهولة. هذه النظرة إلى الشعور بالذنب، مثلها مثل العديد من أفكار التحليل النفسي الأخرى، كان لها تأثير قوي على ثقافتنا، من خلال المقالات المكتوبة في سياق الفكر الفرويدي اليساري والماركسية الحرة، هذا المنظور حول مشاعر الذنب بحث بعمق في التفكير التقدمي الغربي، فمنذ الستينيات وما بعدها، بدا الشعور بالذنب على أنه عاطفة تتفق بوضوح مع النظام الاجتماعي، الذي لم يكن له أي وظيفة أخرى سوى إزعاج الفرد وعرقلة حريته. من المحتمل أن هذه النظرة إلى الذنب كان لها أيضًا تأثير كبير على "إغراء البراءة" القوي الذي يميز ثقافتنا في الوقت الحاضر، "مرض الفردية الذي يتمثل في الهروب من عواقب أفعال الفرد" الذي حلله "بروكنر" بدقة.. كرس التحليل النفسي اهتمامًا كبيرًا لمشاعر الذنب، لأنه ينسب إليها دورًا أساسيًا في تفسيراته للحياة النفسية الطبيعية والمرضية، وكذلك في الأداء الأخلاقي للفرد وفي الديناميكية الاجتماعية. إلى جانب أعمال فرويد، وهذه الدراسات التي تم تطوير معظمها ترى التطور الأخلاقي على أنه استيعاب، والتركيز على تأثير متغيرات التنشئة الاجتماعية المتنوعة - خاصة التخصصات الأبوية - على الشعور بالذنب وتأثيرات تلك المشاعر[٧٩].

ومن خلال دراستنا للشخصيات سنجد أن الشخصية المحورية نادية التي تعاني من بعض الأمراض النفسية التي لم تظهر عليها، ولكنها تظهر للناس الوجه البريء الذي لم يخطأ أبدا وهي شخصية الشر متجسد في داخلها، وعلى الصعيد الآخر سنجد الضحية صافي زوجة أبيها وهي ضحية لمؤامرة من نادية، وبالرغم من تعرضها لهذه الصدمة إلا أنها حملت كبريائها، ولم ترضى بقبول زواج عمها وهو أخ الزوج، بل احتفظت بذاتها وكبريائها، إلى أن تم خطبتها من مصطفى، الذي كان حبيب نادية ونجد أن القدر يلعب لعبته من حرمان نادية من حبيبها وحبيبها السابق الذي يقنعها بفلسفته وبفارق السن أنهما لا يمكن أن يكونا لبعض، أما صافية بالرغم من ذلك تخلى عن أفكاره أمامها، أمام الشخصية القوية لديها، فهي الشخصية القوية النشطة التي تضج فيها الحياة وتسيطر على كل من حولها، ونجد الشخصية الضعيفة التي لا تستطيع أن تخوض مناقشة مثلها فهي تفقد القدرة على الحوار في تجمع سواء عائلي، وبالرغم من دلال أبيها لها، إلا أنها كانت تعيش في كبت من عدم وجود اهتمام الأم، مما جعلها تتجه لغريزة التدمير لديها، ونجد

79 Itziar Etxebarria, Guilt: an emotion under suspicion, University of the Basque Country, Psicothema ISSN 0214 - 9915 CODEN PSOTEG, 2000. Vol. 12, Supl., pp. 101-102.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

هذا لعدم ثقتها بنفسها، على عكس صافية التي نراها كلها ثقة بالنفس، فالثقة بالنفس ينتج عنها ضبط النفس، وإن اختلت الثقة بالنفس لدى الشخصية فنجدها تفقد السيطرة وضبط نفسها، وتبدأ في الاتجاه العدواني الذي يلحق بالشخصية ذاتها، ومع من حولها، وكان تشكيل شخصية نادية ناتجا من الأب فهو المدلل، أعطاها صلاحيات أكبر من عمرها، كالتحكم في مصير الخدم، والتدخل في حياته ومحاسبته في بعض الأمور حينما يتأخر، أو يتشاجر معي عمها، فكانت شخصية سادية تحب أن تتسلط على الأشخاص، وتتحكم في قلوبهم وتدمرها، كانت تريد أن تكون هي المحورية في كل شيء، وظنًا منها بوجود صافية أنها مهمشة أصبحت نوازع الشر لديها تكبر وتكبر لتحاول أن تحطمها كما اعتادت على التدمير والتحطيم، وأصبح أبيها ضحيتها،" **وكان يؤدي الحساب أمامي كأني زوجته أو أمه**"[٨٠] **"وإن أبي يهون عليه أي شيء إلا أن أغضب أو يسمح لأحد بإغضابي"** [٨١]

وكوثر الضحية في بداية الأمر ثم اتجهت اتجاها أكثر من ذلك لتكون شخصية خائنة لا تعرف عن المبادئ والحياة شيء، بل حاولت أن تخون وتعيش حياتها، ورأت هذا لأن الحياة أتت عليها من كل ما تحمله من معاناة، لتسترد شيئًا من حياتها وهو متعتها على حساب الآخرين، حساب الزوج أحمد المخدوع بها، ومحاولة منها لنادية أن تزوجها حبيبها سمير والأب الذي كله وقار وجدية، ومع أول صدمة له كان على عكس صافية، فقد أبقت صافية متزنة إلى الحد الذي نراها متزنة، أما الأب فكان عكس ذلك، أصبح يلهو وتغيرت حياته ويسكر، وانقلبت حياته رأسًا على عقب، حتى وجدت له ابنته زوجة أخرى، بدأت حياته تستقيم مع هذه السعادة، وعمها المدلل فكانت شخصيته تختلف اختلافا جذري عن شخصية الأب، كان فنان يهوي الرسم بالزيت، بوهيميا في حياته، يسخر من كل شيء حوله، وكثير الكلام والضحك لا يتحمل المسئولية ولا يحمل هما، ولا يعبأ بشيء، فكانت التناقضات في هذه الرواية من تجاه الأب الوقور، والعم المختلف الاختلاف الكلي عن لطفي أخيه ومصطفى مثل شخصية عمها البوهيمية الذي لا يريد الارتباط، ولكنه يلهو، فالأمر لم نستطع ان نقول بينه وبين نادية حبًا، ولكنه نوع آخر من الحنين للجنس الآخر، فرغبتها فيه، جعلت له رغبة لها، لأن في الأصل شخص غير مسئول إلا بلهوه وسهراته، وإن كان محبًا لها لم يكن يتركها، بل كان سيبقى معها وينتشلها من حياة الضياع بنفسها وحقدها وتدميرها لنفسها وللآخرين. فكانت نادية الوجه الشيطاني المتخفي الذي لا يعلم أحد منه شيئًا إلا هي، ومع ذلك كانت الوجه الملائكي البريء أمام الجميع، وصافية الشخصية الملائكية التي دفعت ثمن طيبتها.

---

[٨٠] إحسان عبد القدوس، رواية لا أنام، ص٤٥

[٨١] المصدر السابق، ص٤٤.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الراوية في ظل هذه الصراعات النفسية التي تعانيها، فلم تقتصر على ظاهرة واحدة لديها، وهي حبها الشديد لأبيها المتمثل في (عقدة اليكترا)، فيوجد أيضًا أذية الغير الممتلئة بالغيرة والحقد وعدم ثقتها في ذاتها، والتعنيف النفسي وجلد الذات الناتج من عقاب النفس والمشجع لها لإكمال أذيتها دون رضخ.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

المصادر والمراجع:

مصادر الدراسة:

- إحسان عبد القدوس: رواية لا أنام،

مراجع الدراسة:

- عدنان حب الله، التحليل النفسي للرجولة، والأنوثة من فرويد إلى لاكان، بإشراف المركز العربي للأبحاث النفسية والتحليلية.
- د. شاكر عبد الحميد، الأسس النفسية للإبداع الأدبي (في القصة القصيرة)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٩٢.
- دانيا الشبؤن، الشعور بالذنب وعلاقته بالشعور بالخزى عند المراهقين، مجلة جامعة دمشق، المجلد٢٧، ملحق ٢٠١١، ص٥٩، بدر محمد الأنصاري، بناء مقياس للذنب وعلاقته ببعض متغيرات الشخصية، مركز النشر العلمي، جامعة الكويت، ٢٠٠٠.
- سيزا أحمد قاسم، بناء الرواية "دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ" الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤.
- سيغموند فرويد، الأنا والهو، ترجمة وإشراف الدكتور/ محمد عثمان نجاتي، مكتبة التحليل النفسي والعلاج النفسي، دار الشروق، ط٤، ١٩٨٢.
- سيغموند فرويد، محاضرات تمهيدية جديدة في التحليل النفسي، ترجمة: عزت راجح، مراجعة: محمد فتحي مكتبة مصر.
- شريف الجيار، روايات إحسان ذات الاتجاه النفسي ومصادرها الأجنبية.
- عبد الله إبراهيم، المتخيل السردي، مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٠.

- **المراجع الأجنبية:**

- Anca M. Maron, Nyla R. Branscomb, Michael T. Schmitt (2006): Collective Guilt as Distress over illegitimate intergroup inequality, Journal of Group processes & intergroup Relations.
- Donald L. Carved, Ph.D. The Unconscious Need for Punishment Expression or Evasion of the Sense of Guilt http://www.yorku.ca/dcarveth/guilt.html
- Electra After Freud: Myth and Culture By Jill Scott.
- Itziar Etxebarria, Guilt: an emotion under suspicion, University of the Basque Country, Psicothema ISSN 0214 - 9915 CODEN PSOTEG, 2000.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

- **Translation of sources and references into English:**
- **Sources:**
- Ihsan Abdel Quddous: 1- The novel
- **References:**

- Adnan Hoballah, Psychoanalysis of Masculinity and Femininity from Freud to Lacan, under the supervision of the Arab Center for Psychological and Analytical Research.
- Dr. Shaker Abdel Hamid, The Psychological Foundations of Literary Creativity (in the Short Story), Egyptian General Book Authority, 1992.
- Dania Al-Shaboun, The feeling of guilt and its relationship to the feeling of shame among adolescents, Damascus University Journal, Volume 27, Supplement 2011, p. 59, Badr Muhammad Al-Ansari, Building a scale of guilt and its relationship to some personality variables, Scientific Publishing Center, Kuwait University, 2000.
- Siza Ahmed Qassem, Building the Novel, "A Comparative Study of Naguib Mahfouz's Trilogy," Egyptian General Book Authority, 1984.
- Sigmund Freud, The Ego and the Id, translated and supervised by Dr. Muhammad Othman Najati, Library of Psychoanalysis and Psychotherapy, Dar Al-Shorouk, 4th edition, 1982.
- Sigmund Freud, New Introductory Lectures on Psychoanalysis, translated by: Ezzat Rajeh, reviewed by: Muhammad Fathi, Misr Library.
- Sherif Al-Jayar, Ihsan's psychological novels and their foreign sources.
- Abdullah Ibrahim, The Narrative Imaginary, Critical Approaches to Intertextuality, Visions, and Meaning, Arab Cultural Center, 1st edition, 1990.

- **Foreign references**:

- Anca M. Maron, Nyla R. Branscomb, Michael T. Schmitt (2006): Collective Guilt as Distress over illegitimate intergroup inequality, Journal of Group processes & intergroup Relations.
- Donald L. Carved, Ph.D. The Unconscious Need for

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

Punishment Expression or Evasion of the Sense of Guilt http://www.yorku.ca/dcarveth/guilt.html
- Electra After Freud: Myth and Culture By Jill Scott.
- Itziar Etxebarria, Guilt: an emotion under suspicion, University of the Basque Country, Psicothema ISSN 0214 - 9915 CODEN PSOTEG, 2000.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898